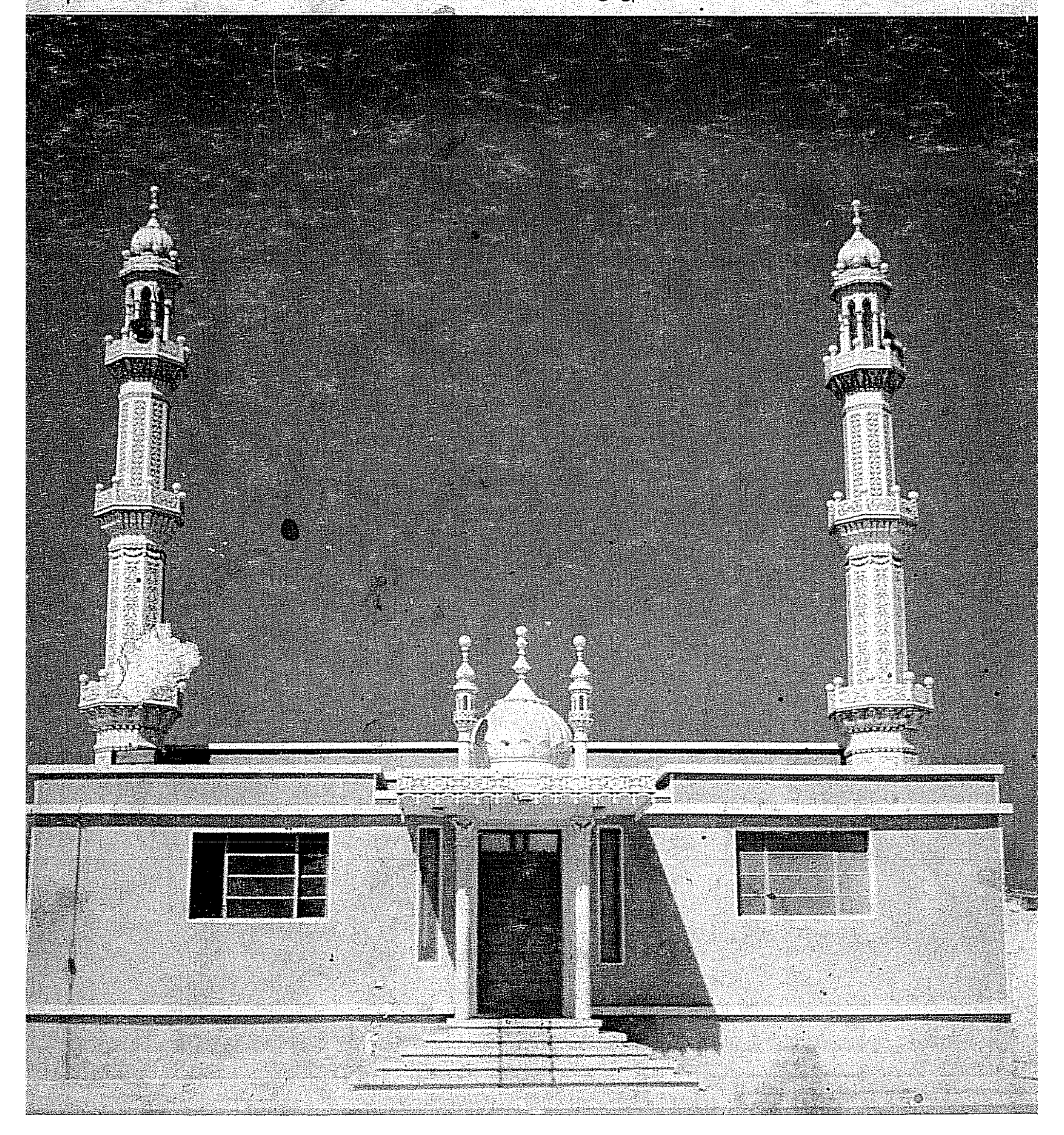
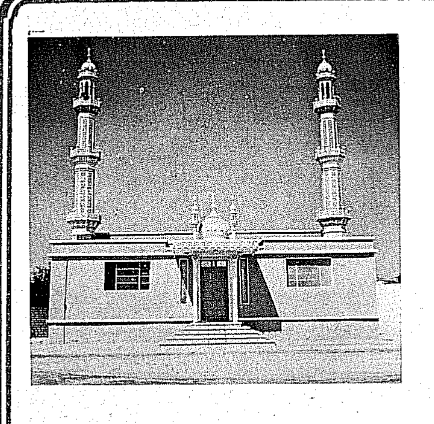
الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

السنة الخامسة — العدد ٥٨ — شوال ١٣٨٩ هـ — ١٠ ديسمبر (كانون أول) ١٩٦٩ م



اقرأ في هذا العدد



مسجد الشيخ خالد

احدث مساجد امارة ((الشارقة)) بالخليج العربى ، وهو مبنى على الطراز العربى الجميل ، ويبدو فى الصورة مدخله الفخم تعلوه قبة بين مئذنتين رائعتين ، كما يظهر فيهـا منارتان شامختان بنقوشهما البديعة

تصوير : محمد باقر حبيب

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B 13

السنة الخامسة

العدد الثامن والخمسون

شـوال ١٣٨٩ هـ

١٠ ديسمبر (كانون أول) ١٩٦٩ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقـاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيـا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليما
الجزائر		فرنك وربع
المغرب		درهم وربع
الخليج العربى	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينـار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترلينى)
(أما الافراد فيشتركون رأسا)
مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨ — كويت



معالم الطريق إلى النصر

- إيمان قوي بالله
- سير على هدي رسول الله
- تجمع إسلامي كامل
- نفير عام ينتظم الأمة الإسلامية

للدكتور : علي عبد المنعم عبد الحميد

المستشار الثقافي لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

١ ــ أرسل الله رسله بالهدى ودين الحق ، وأيدهم بالمعجزات ، وهى الامور الخارقة للعادة يظهرها الله على يدى مدعى النبوة تصديقا له فى دعواه ، فنجي الله نوحا وأغرق قومه بالطوفان لما عصوا أمر ربهم ، وجعل النار بردا وسلاما على ابراهيم ، وأعطى موسى العصا التى كانت تلقف ما يأفكون ، وأقدر عيسى على ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى باذن الله .

وأما سيدى رسول الله خاتم النبيين فقد كانت معجزته الكبرى ذلك الكتاب الذى لا ريب فيه هدى للمتقين . واعجازه من حيث بلاغته التى أعيت فحول البلغاء فى عصر نزوله ومن جاء من بعدهم عن الاتيان ولو بمثل أقصر سورة منه ، وفوق هذا وذاك ما اشتمل عليه من تشريع ينظم أمور الحياة فى شتى صورها وأشكالها ، اجتماعية واقتصادية وعلاقات دولية ، مشيدا بالتربية الاستقلالية ، وداعيا الى النضوج الفكرى ، فالامة التى تنتسب اليه وتعيش فى ظله وتنفذ ما جاء به تنفيذا كاملا شاملا ، لا بد وأن تصبح فى مقدمة أمم الارض قوة واقتدارا ، وقدوة عملية فى جميع ضروب الحضارة الانسانية ، فلا يمكن بحال لأى مصدر تشريعى أو تقنينى أو تربوى أو داع الى نهضة فكرية أو تقدم علمى أو باحث فى كيفية الحصول على السعادة الانسانية أن يصل أو يقارب ما جاء به الاسلام

وسجله القرآن ، وفصلته السنة ، وأبدع فى تطبيقه وتشقيق مسائله تقنينا علماء المسلمين ، وما أبرزه عمليا فى حياة الناس اليومية أمراء المؤمنين المخلصون العاملون . ونضرب الامثلة للتقريب مارين بآيات كريمة من كتاب الله تعالى :

ففى مجال التشريع العام يقول الله سبحانه : ((**ان الله يأمر بالعدل والاحسان**)) وفى ميدان السباق الفكرى والتأمل العقلى للوصول الى نتائج علمية وافية يقول : ((**ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الالباب**)) . ((**قل انظروا ماذا فى السموات والارض**)) . وفى الدعوة الى الترابط الدولى ترد الآية الكريمة : ((**يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم**)) . وفى الاقتصاد: ((**وكلوا واشربوا ولا تسرفوا**)) ((**ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ..**)) ((**والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما**)) وفى تقوية الصلات الاجتماعية للانتاج الفعال فى مجتمع متماسك ((**وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الأثم والعدوان ..**)) الى آخر ما هنالك من كمال كامل لا يرقى اليه نقد ولا يطاوله اعتراض ولا غرو فهو تنزيل من حكيم حميد وتشريع ممن يعلم السر واخفى .

٢ — من اهم المعجزات المؤيدة لصدق سيدى رسول الله صلى عليه وسلم بعد القرآن الكريم اسراؤه ومعراجه ، فهذه المعجزة توضع فى المكان الاسمى من التوجيه العلمى وطلب البحث الكونى من أتباع سيدى رسول الله فى كل زمان ومكان ، وتأتى فى مقدمة الحث الاكيد على الاستكشاف واستطلاع أسرار الكون علوية وسفلية واستثمار نتائجها فى اسعاد البشرية ورقى الحضارة الانسانية . فمن المؤكد تاريخيا والمحقق علميا والموثوق به اخباريا أن سيد الخلق صلى الله عليه وسلم أسرى به من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى فى لحظات من ليل ، وعرج به الى السموات العلى فى دقائق معدودات ، ولم تتجاوز الرحلة كلها مع لقاءاته عليه الصلاة والسلام باخوانه الانبياء ومفاوضاته مع موسى بخصوص الصلوات الخمس ، واستطلاعه أحوال عصاة أمته الاخروية ، بضع لحظات من الليلة ذاتها . ولو سألنا العلماء المعاصرين الباحثين فى أحوال الكون والواصلين الى بعض أسراره لأجابوا : لا مستحيل مطلقا فى وقوع هذا الامر وحصوله ، فلئن كان الانسان العادى قد وصل الى كوكب غير الارض ، فأحرى بسيدى رسول الله عليه السلام وضيف رب العالمين الذى احاط بكل شىء علما ، أن يصل الى حيث يريد له من أمره بين الكاف والنون الذى بيده مقاليد كل شىء وهو على كل شىء قدير .

٣ — بعد هذا العرض السريع لبعض آثار قدرة الله تعالى واحاطة علمه وحدبه على البشرية بالتشريعات السديدة والتعليم المفيد والتربية المجدية نتساءل: الم يأن للذين تشرفوا بالانتساب الى الاسلام أن يعرفوا طريقهم المرسوم فيسلكوه غير ملتفتين يمنة أو يسرة ، أما آن لهم أن يدركوا أن من لم تكن له فعالية من نفسه ، ومن لم يثبت وجوده بهمته وعمله لا يمكن أن يقدره غيره ، ولا أن يقيم له وزنا سواه ، وأن التفاخر بالانساب والرمم قد مضى زمانه ، وانه لم يأخذ صورة بارزة الا فى أذهان العاجزين القاصرين ، ولم يكن من سلف الامة عاجز ولا مقصر فقد جرى على السنتهم :

ان الفتى من يقــــول هانـــــذا   وليس الفتى من يقـــــول كان ابى

وذاع بينهم :

نفس عصـــــام سودت عصــاما   وعلمتــــه الــكر والاقدامـــــا
وصيرته ملكا هماما

وشاع من أمثلتهم السائرة :

« كن عصاميا ولا تكن عظاميا » .

وعرفوا أنه لن يهون على الناس الا من هانت عليه نفسه فقالوا :

اذا أنت لم تعــرف لنفســك حقهــا   هوانا بهــا كانت على الناس أهونا

ألم يحن للمعاصرين من ورثة أولئك الاشاوس الامجــاد ان يتحاشوا أن يقال فيهم :

من يهن يســهل الهــوان عليــــه   ما لجـــــرح بميت ايـــــلام

الا فلينشدوا مع شاعرهم وهم يعملون وينفذون :

سواى يهاب الموت أو يرهب الردى   وغيـــرى يهـــوى أن يعيش مخلدا

ومع الآخر :

وما أنا ممن تأسر الخمـــر لبـــه   ويملك ســمعيه اليـــراع المثقب

وليرددوا :

من لم يمت بالســيف مــات بغيــره   تنوعت الاســباب والموت واحــــد

٤ ــ ولكل هذا يجب أن يعلم المسلمون عامة والعرب منهم خاصــة أن الطريق واضح لاحب ، وأن سلوكه جد هين لا يستحيل مع عون الله .

الطريق ودلائلها للانقاذ من كابوس الاعداء ــ وما أكثرهم ــ بينة وها هى ذى رسومها :

ايمان قوى عميق بالله وعمل وتطبيق لكتاب الله وسير حثيث على هدى رسول الله .. وسينتج كل هذا بعد التركيز الحق والتنفيــذ الصريح لأحكام الاسلام ، حتى لا تذهب أصــواتنا أدراج الرياح ، وحتى لا يصدق علينـــا المثل القائل (ما لى أسمع جعجعة ولا أرى طحنا) .

أولا : تجمع اسلامى كامل مع اطراح الاحقاد والضغائن ، ونبذ التحاقد والتحاسد ، فقد صفى الاسلام تلك التفاهات من بين العرب فسادوا ، ثم غلبت عليهم فى عصور متأخرة فهانوا .

ثانيا : نفير عام تشترك فيه كل الامة الاســلامية مساهمة بكل قادر على الوقوف على رجلين من أبنائها ذكورا وأناثا ، شيبا وشبانا مضحين بالسبد واللبد وباذلين كل تالد وطريف فى سبيل نصر مؤكد بعون الله سبحانه .

ثالثا : دعوة صريحة لا مواربة فيها ولا التواء لأولئك المجاهدين ان يجعلوا

هدفهم احدى الحسنيين مؤمنين بما عند الله وليسمعوها صريحة قوية صادقة ليتدبروها حقيقة مدوية من واقع جهاد المسلمين وتوجيه رب العالمين في سورة النساء من التنزيل الحكيم ، ليصيخوا اليها سماوية قرآنية تحث على ادامة الصلة بالله فى ميدان القتال رمزا لطلب عونه وانعطافا الى ساحته وأملا فى نصره وتأييده : قال تعالى :

((واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ، ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم ان كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم أن الله أعد للكافرين عذابا مهينا)) .

٥ — وبغير هذا الايمان والعمل ، لا يكون الا نصر مخبول — ان كان — وعمل مبتور ونهاية الى بوار .

وأنا أومن بالله ولا أصدق الا ما أوحى من عند الله ، وذلك هو نداء القرآن وهدى سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أنجبت دروسه وتعاليمه المثل العليا للانسانية الفاضلة الفعالة للخير فى كل الميادين والمجالات .

أولئك آبائى فجئنى بمثلهم   اذا جمعتنا يا جرير المجامع

جئنى بمثلهم عاملين فى الحقل الانسانى لا يرجون من وراء عملهم جزاء ولا شكورا .

وهاك بعض الامثلة للرجال المؤمنين :

١ — أبو بكر : الواقف وحيدا ضد المرتدين والمنتصر على كل المخالفين .

٢ — عمر : فريد الانسانية فى شدة ودقة تطبيقه للعدالة الانسانية بادئا بنفسه والاقربين وما اليه .

٣ — عثمان : التقى الورع ذو النورين المضحى بماله وصحته فى سبيل الله ساعة العسرة .

٤ — على : وما ادراك ما على صاحب ذى الفقار ، باب العلم ، مطبق سياسة المحبة ولو كانت النتائج ضده ، فاقها كتاب الله واقفا عند حدوده .

٥ — خالد : سيف الله صاحب المواقف الفذة فى تاريخ الدنيا ماضيها وحاضرها فى تاريخ البشرية جمعاء . الم تر اليه يوم أقصى عن القيادة فقاتل جنديا يحمل راية الاسلام لا يرجو الا الله واليوم الآخر .

٦ — أبو عبيدة : أمين هذه الامة كما نص على ذلك سيدى رسول الله .

بهذه النماذج العليا ساد المسلمون ، وسادت حضارتهم ، وبمثلها تعود للمسلمين الصدارة كما كانت . وبالمرور عبر التاريخ خلال القرون لا تعدم فى كل عصر ومصر مثالا رائعا فريدا للكمال فى السلم والحرب فى العلم والبحث فى التقنين والتشريع من ابناء الاسلام ، فاقتدوا بهم واعملوا وسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، ويوم يتجمع المسلمون تحت راية الاسلام سيطأطىء العالم كله رأسه اجلالا لهم ، ويصيخ سمعا لمطالبهم ، ويفسح لهم المكان اللائق بكرامتهم فى المجال الدولى ، ولن يستعصى عليهم شأن ما من شؤون الدنيا .. ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز .

من توجيه القرآن الكريم في صفات المؤمنين

المؤمنون يؤثرون ما عند الله على متاع الحياة الدنيا

للدكتور : محمد البهي

يتهم الاسلام بأنه يقصر عن أن يوفر للانسان المعاصر — فى الثلث الاخير من قرننا العشرين الآن — الحياة الانسانية الكريمة ، لأنه يزهد فى متع الحياة الدنيا ، ويدعو الى عدم الالحاح فى طلبها ، فى انتظار متع أخروية يبشر بأنها خير وأبقى ، وليس هناك ما يؤكد للانسان الذى يدعى الى ذلك ويستجيب لما يبشر به .. وقوع تلك المتع الاخروية !!

فهو دين بالأولى يصرف الناس — بل ربما يخدعهم — عن منافعهم الدنيوية ، ويحملهم على أن يتركوها للمستغلين والانتهازيين ، دون أن يحصلوا من الحياة التى يعيشون فيها الا على القليل من تلك المنافع ، فى صحبة شقاء مستمر للعيش وجهد لا ينتهى للسعى فى سبيله ، ومرارة دائمة لطعم الحياة ، وظلمة قاتمة لليأس التى تخيم من لحظة الى أخرى .

ان الاسلام يدعو حقا الى « الزهد » فى متع الحياة ، ولكنه لا يدعو الى اعتزال هذه المتع . ودعوته الى الزهد هى دعوة فى واقع الامر الى عدم الالحاح فى طلب هذه المتع المادية .. الى عدم التركيز عليها واشباع الشهوة اللامحدودة منها .. الى قصر الرؤية ، والجهد ، والهدف فى الحياة على الحصول عليها وحدها .

ان الاسلام بدعوته الى « الزهد » يحول دون « المادية » وطغيانها فى حياة الانسان .. يحول دون « الوثنية » وانحطاط الكرامة الانسانية ، والنفاق ، والقلق النفسى ، والخوف الرهيب الدائم من مستقبل الحياة .

فالمادية — وهى الالحاح فى طلب المتع المادية من المال والنساء وزخرف

هذه الحياة الدنيوية ، والتركيز عليها ، واخضاع النظرة فى الحياة اليها دون غيرها — هى سبيل « الوثنية » فى الاعتقاد والايمان . والوثنية لا تقف عند الاعتقاد فى حجر ، والايمان بصنم ، قصدا الى تحصيل منفعة متوهمة ، أو الى منع ضرر غير محتم للوثنى . بل هى الاعتقاد فى كل « موجود » له صفة التغير وعدم البقاء على حالة واحدة : انه مصدر النفع أو دفع الضر ، أو مصدر الاثنين معا .. هى الايمان بأن فردا ما من الانسان — مثلا — فوق الخطأ والخطيئة ، وفوق التناقضات من صفات : الموت والحياة ، والفقر والغنى ، والضعف والقوة ، والهوان والعزة ، والجهل والحكمة .. الايمان بأنه اذا مات فهو غائب فى حياة أخرى ولا بد أن يرجع يوما ، وبأنه معصوم ومنزه عن الخطأ والمعصية ، فكل كلمة له حكمة ، وكل خطوة يخطوها فهى ريادة سليمة ، وكل حركة له فهى لمصلحة عامة ، وكل اشارة يوجهها فهى مطاعة .

والانسان — أى انسان — بطبعه البشرى محدود ومحدد ، وقيمته تبعا لذلك ليست قيمة عامة ولا أبدية ، وأثره فى محيط نفسه ومحيط غيره لا يعدو نطاق محدوديته وقدرته المحددة . ولذا هو غير صالح .. بحكم طبيعته — لأن يكون ذا تأثير مستمر فى جانب النفع أو الوقاية من الضرر لنفسه أو لغيره على السواء .

ومن هنا يضطر الذى كان يعبده بالامس أن يوجه عبادته الى غيره اليوم ، ان تعرض لتغير أو تحول الى وضع آخر لم يكن له بالامس ، وهو وضع الضعف أو الفناء .

وهكذا : الوثنى يتلون فى قبلته فى العبادة ، وهو شقى وقلق فى هذا التلون ، لأنه سيظل يفتش عما يجب أن يعبده غدا وبعد غد . وهو فى تغيره من معبود الى معبود « منافق » ، يضفى على معبوده اليوم ما كان يضفيه على المعبود فى الامس ، ويسلب معبود الامس مميزات العبادة والاحترام ، ويكيل له من النقد ما قد يجعله فى محيط الخرافة والوهم .

والمنافق لا يعرف الكرامة لنفسه ولغيره معا فحسب ، وانما بالاضافة الى ذلك لا يعرف الامان والاطمئنان فى حياته ، لأنه ينظر دائما الى مستقبله نظرة الخائف الذى ترهبه صورة التغيير لمعبوده والانتقال من واحد الى آخر ، بعد البحث وطول التفتيش عما يؤمل ثم يعتقد فيه : بأنه مصدر جلب النفع المادى ، أو دفع الضرر المادى كذلك .

فالمادية ، أو الالحاح فى طلب متع الدنيا ، طريق « الوثنية » . والوثنية بدورها سبيل النفاق والانتهازية . والنفاق من جانب مصدر القلق النفسى ، والتهيب والخوف فى رهبة من المستقبل ، وذلك كله يدفع بالوثنى فى النهاية الى : الجبن ، وعدم الانفاق من ماله على نفسه أو على غيره ، فللخشية مما يخبئه الغد .

والاسلام اذ يوصى بالزهد أى بعدم الالحاح فى طلب المتع المادية والتركيز عليها وحدها ، واذ ينظر الى الحياة الدنيا فى مواجهة حياة أخرى أخيرة على أن تلك فى خيرها وبقائها أكثر من الاولى .. يريد أن يحول بين الانسان وطغيان « المادية » عليه .. يريد أن يباعد بينه وبين النفاق وآثاره ، والخوف فى الحياة ونتائجه على النفس فى قلقها ، وجبنها وضعفها .

ولا تقتصر آثار « المادية » على الذات وحدها . بل كثيرا ما تتعداها الى ذوات أخرى وأفراد آخرين فى المجتمع . وفيما يصف به القرآن الكريم المؤمنين

فى الآيات التالية بأنهم يؤثرون ما عند الله على ما فى الدنيـــا من متع مادية وبالصفات الاخرى المستتبعة فى قوله :

« فما أوتيتم من شىء فمتاع الحياة ، وما عند الله خير وأبقى :
« للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون .
« والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش ،
« واذا ما غضبوا هم يغفرون .
« والذين استجابوا لربهم ، واقاموا الصلاة ،
« وأمرهم شورى بينهم ،
« ومما رزقناهم ينفقون .
«والذين اذا أصابهم البغى هم ينتصرون .
« وجزاء سيئة سيئة مثلها ،
« فمن عفا وأصلح فأجره على الله ، انه لا يحب الظالمين .
« ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل .
« انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الارض بغير الحق (تحت طغيان المادية) أولئك لهم عذاب اليم .
« ولمن صبر ، وغفر ، ان ذلك لمن عزم الامور » (١) .

وفيما يصف به القرآن الكريم المؤمنين على هذا النحو .. يريد أن يوضح أن الذين يؤمنون بالله حقـــا يبتعدون فى ايمانهم عن « المـــادية » . ومظاهر الابتعاد عنها :

١ ــ أن يعتبروا الآخرة فيما لها من متع أفضل بكثير من الدنيا ومالها من زينة وزخرف . وهذا يبعدهم عن المبالغة فى طلب المتع الدنيوية فقط ، ولكن لا يصرفهم عن الاستمتاع بها ، وانما فى الحدود التى لا تخرج الى الوقوع ، فى « المادية » وحدها من جديد : « فما أوتيتم من شىء فمتاع الحياة الدنيا ، وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا » .

٢ ــ وأن يتوكلوا على الله ويعتمدوا عليـــه وحده فى المعـــاونة ، وفى الحصول على الخير والوقاية من الضرر .. لا يرجون موجودا سواه فيما ينفعهم ويضرهم . « وعلى ربهم يتوكلون » . والتـــوكل على الله وحـــده يحول دون « الوثنية » فى الاعتقاد والانتقال من معبود الامس الى معبود اليوم ، كما يحول دون القلق النفسى ، والتخلق بخلق النفاق والسقوط فى الضعف والهوان ، وفى ظلمة اليأس فى الغد ، عندما يفتش عن المعبود من الناس فلا يجده .

التوكل على الله هو مصدر الشجاعة ، ومصدر الاعتزاز بالكرامة الفردية ، ومصدر الحرية الفردية ، ومصدر النجاح والظفر ، ومصدر الامل فى الغـــد القريب والبعيد ، « ومن يتوكل على الله فهو حسبه » فى الحياة كلها ، وليس فى مرحلة دون أخرى . ولا سبيل لهذا التوكل الا بالايمان بالله . والايمان بالله لا يجتمع اطلاقا مع طغيان « المـــادية » والالحاح فى تحصيل متع هـــذه الحياة الدنيوية ، ولا مع « الوثنية » فى الاعتقاد ، فى : الصنم ، أو فى الانســان .

٣ ــ وأن يتجنبوا كبائر الاثم والمعاصى والانحرافات التى تؤذى النفس او الآخرين ، كما يتجنبوا الفواحش والجرائم الاجتماعية التى تسىء الى المجتمع وتقوض العلاقات بين أفراده ، كجرائم : الزنا والقتل ، والسرقة ، وانتهـــاك

---

(١) الشـــورى ٣٦ ــ ٤٣ .

الحرمات .. « والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش » . وليس تجنب كبائر الاثم والفواحش الا نتيجة حتمية لعدم الالحاح فى الاستمتاع بالمتع المادية فى هذه الحياة ، أى لعدم سيطرة « المادية » و « طغيانها » على النفس . فطالما لا يكون هناك الحاح وضغط على النفس فى تحصيل المتع والاستجابة لشهوة النفس اللامحدودة . لا يكون هناك اندفاع يحمل النفس على اقتراف المعاصى والفواحش .

٤ — وان يتخلقوا بخلق التسامح ، ان كان هناك ما يثيرهم ويغضبهم من افعــال الآخرين وتصرفاتهم . فليس أبقى على العــلاقات بين الافــراد من التسامح . « واذا ما غضبوا هم يغفرون » . وبذلك يتقربون بصفة من صفات الله جل شانه ، وهى صفة الغفران .

والتسامح لا يكون له موضع لدى من تحتمله نفسه على اقتناص الفرص ، وتلح عليه الانانية فى السعى لتحصيل المــال ، وتكوين العصبيات القبليــة ، والاستمتاع بالنساء ، دون رعاية لحق الآخرين فى الوجود والحياة . التسامح ليس له مكان عند من تطغى عليه المادية وتقوده «الوثنية» فى التفكير والتصرف . لانه مدفوع ، وليست لديه فترة للمراجعة واعادة التقييم . فهو لا يستطيع أن يحول بين الذات وبين استمرارها فى الاندفاع . والمتسامح هو ذلك الذى يراجع الامر ، ويحلل عناصره ، ويقيم تلك العناصر ، ثم يؤثر العلاقة الطيبة مع غيره ، على متعة أو مصلحة شخصية فاتته من اثارة الغير واغضابه ، أو على اهانة كلامية تكون نتيجة لحمق الغير وهوجه .

٥ — وان يتذكروا الله فى كل تصرفاتهم ، ويتابعوا وصايا الــكتاب فى سلوكهم مع انفسهم ومع غيرهم . وان يجدوا من اقامة الصلاة طريقا الى العودة الى الله ، كى يحافظوا على عدم الحاحهم فى الحصول على متع الدنيا ، وعدم المبالغة فى تقديرها . فمن يذكر الله فى أوقات متقاربة فى يومه وليله — هى أوقات الصلاة — ويدعوه للمعاونة على موقفه فى الحياة ، وهو موقف المؤمن به .. يشتد أزره وتقوى ارادته فى عدم الخضوع الى ملذات هذه الدنيا ومتعها المــادية . أى تقوى ارادته فى أن لا تسيطر عليه « المادية » ، ويطغى عليه اتجاهها « .. والذين استجابوا لربهم ، وأقاموا الصلاة » .

٦ — وان يكون أمرهم شورى بينهم لا يعرفون تحكما ، ولا مفــارقة فى الاعتبار البشرى ، ولا فى حق الحياة حياة كريمة فى هذا الوجود . ولا يشاور الآخرين معه فى بيئته أو فى مجتمعــه أو فى أمته ، الا انســان يقر لهم بحق الحياة ، كما يقر لنفسه ، ويعترف لهم بالمشــاركة فى متع الدنيــا على نحو ما يستمتع . وذلك هو المؤمن بالله ، الذى لا يقع تحت طغيان المادية بعــد ، والذى تتملكه روح التوكل على الله وحده « وأمرهم شورى بينهم » .

ان مباشرة الشورى فى الامر والمشاركة فيها لا تدل على عدم الخضوع لطغيان « المادية » فقط . بل تدل على وجود الايمان بالانسانية ، الذى يحمل عليه الايمان بالله . اذ واقع الايمان بالله فى حياة الانسان هو توفير الاحترام للقيم الانسانية التى تتجه الى صفاء النفوس ، وصفاء العلاقات بين الافراد ، وتمكين أواصر المودة — بدلا من النفرة أو التطاحن — بينهم .

والذى لا يستشير الاخرين معه فى وجوده الخاص أو العام ليس انسانا أنانيا ، مغرورا ، مخدوعا بأنانيتــه فحسب ، وانما هو انسان ملــكت عليه « المادية » تفكيره وتصرفاته على السواء .

٧ — وأن ينفقوا مما لديهم من اموال وما حصلوا من نعم وأرزاق على سد حاجات الآخرين ، دون سؤال منهم ، وفى غير رياء أو منة ممن ينفق : « ومما رزقناهم ينفقون » . اذ ليس هناك أبعد عن الوقوع تحت سيطرة « المادية » والالحاح فى طلب الدنيا ومتعها من هذا الذى ينفق فى غير مقابل مادى مما لديه من مال ، أو صحة ، أو علم ، أو جاه ، أو قوة على غيره فى غير مقابل . اذ شأن الذى تسيطر عليه « المادية » بوثنيتها ان يأخذ ولا يعطى ، ويحصل لنفسه ولا ينفق لغيره .. هو أنانى ، يدور حول نفسه فى تحصيل المنفعة أو فى دفع الضرر ، فان خرج عن دائرة الذات الى « معبود » له غيرها فللغاية نفسها . فكان الانفاق من الرزق على صاحب الحاجة ، أو لصالح الجماعة ، مظهرا من مظاهر عدم التطرف والمبالغة فى طلب متع الدنيا .

٨ — وأن ينتصروا على أعدائهم ان اعتدوا عليهم : « والذين اذا أصابهم البغى هم ينتصرون » . ولا ينتصر انسان ما — فردا أو جماعة — على عدو له الا اذا اشترى الآخرة بالدنيا ، على معنى : انه يؤثر ما عند الله على ما فى دنياه وما فى أيدى الناس . فهو اذن لا ينجذب الى الدنيا وما فيها من متع مادية فتقعده عن القتال فى سبيل رد الاعتداء عليه ، ان تعين القتال سبيلا الى ذلك . وعامل النصر دائما هو اللامبالاة بالدنيا والحياة فيها ، فى طريق الاحتفاظ بالقيم العليا والانتساب اليها .

ولكى يبعد القرآن عن الصورة التى يرسمها للمؤمن على هذا النحو : ان مباشرته القتال فى رد العدوان يتنافى مع بعض معالمها على الاقل ، كالتسامح وتجنب كبائر الاثم والعدوان ، برر رد العدوان بأمرين :

أولا : ان جزاء السيئة سيئة مثلها : « وجزاء سيئة سيئة مثلها » . وهذا قانون طبيعى وسنة انسانية لا تقبل النقض .

ثانيا : ان النقد والمؤاخذة يوجه الى المعتدى فى اعتدائه ، وليس الى من رد العدوان عن نفسه : « ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل . انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الارض بغير الحق » (وهم أصحاب « المادية » من الوثنيين النفعيين) وعليهم السبيل ويوجه اليهم اللوم فى دنياهم ، بجانب ما لهم من عذاب اليم فى أخراهم : « أولئك لهم عذاب اليم » .

ومع ذلك اذا كان الاعتداء من الآخرين لا يتصل بالقيم العليا التى يؤمن بها المؤمن ولا بكيان المجتمع ذاته ، كمجتمع له خصائصه واستقلاله فى المميزات ، فان الصبر والمغفرة عندئذ من عزم الامور ، أى من الامور التى لا يقوم بها ولا يحتملها الا أصحاب الايمان القوى والارادة القوية : « ولمن صبر وغفر ، ان ذلك لمن عزم الامور » .

وهذا التعقيب الاخير فى الآيات يدل على ان مبدأ « التسامح » مبدأ مفضل فى الاخذ به ، ومبدأ ذو تأثير ناجع فى استمرار البنـاء ، وقوة الترابط بين الافراد . ولا يعدل عنه فى مباشرة السيئة بمثلها فى الجزاء ، الا اذا كان الاخذ به يؤدى الى اضعاف الايمان بالله ومقومات هذا الايمان .

□□□

ومعنى استتباع اللا « المادية » أو استتباع « الزهد » و « الروحية » فى الاسلام لهذه الصفات فيمن لا يلح فى طلب الدنيا ومتعها ، وان كان لا يعف عنها ولا يحرم نفسه منها .. ان « المادية » والاتجاه القائم عليها فى النظرة الى الحياة

والسلوك فيها تستلزم حتما نقائض هذه الصفات فيمن يكون « ماديا » أى فيمن يكون ذا طابع مادى فى معاملته ، وسلوكه ، وعبادته ، وتصرفاته :

أ) فالمادى لا يؤمن بالله ، ولا بدينه ، ولا بقيم عليا . لأنه لا يعتقد الا فى معبود مادى : حجر ، أو صنم ، أو انسان — ميت أو حى — وبالتالى لا يتوكل على الله ، وانما يتوكل ويعتمد على غيره ، ولما كان غير الله ليست له صفات الله — وبالاخص صفة البقاء — فهو يتغير ويقبل التبديل والتحول . ونتيجة ذلك أن يغير المادى معبوده المادى كلما دعت الحاجة الى تغييره وتبديله .

ومن هنا كان المادى وثنيا ، أى ينتقل بعبادته واحترامه وولائه الى غير واحد .. الى كثيرين ممن يعتقد فيهم أنهم ذو تأثير فى النفع وابعاد الاذى .

ومن هنا أيضا كان المادى منافقا . اذ ليس المنافق الا من كان ظاهر ايمانه لا يدل على حقيقة وقوعه . والوثنى — لأنه متقلب فى الايمان — لا تعرف الحقيقة لايمانه ، ولا تعرف له جدية فى الايمان . فهو يظهر الايمان ، طالما كانت له مصلحة شخصية فى اظهاره . فان اختفت هذه المصلحة الشخصية اختفى معها الايمان بالمعبود المعين ، ورحل الى معبود آخر تكشف عنه المصلحة الشخصية الجديدة .

ب) والمادى اذ يدأب على تحقيق المصلحة الشخصية لا يتجنب ارتكاب المعاصى والفواحش فى سبيل تحقيقها . فهو ليس له وفاء لمن يعبده اليوم ويحترمه من الناس ، وليس له وفاء كذلك لأى شخص آخر حتى يرعى حرمته ، فيعف عن مباشرة الجرائم الاخلاقية والاجتماعية ضده أو ضد من يتصل به .

هو انسان تجردت ذاته من الضمير ، وتجردت من الرقابة الذاتية ، وتجردت من المراجعة النفسية ، واندفعت فى طغيان « المادية » : لا تعرف الا المنفعة المادية فى السعى ، والمقابلة المادية فى المعاملات ، والهدف المادى فى تحقيقه . ولا ترى قيما انسانية تحدد الروابط بين الانسان والانسان حتى تقف عندها قليلا . ولذا : كل وسيلة تحقق لها الغاية فهى وسيلة مشروعة ، ولو كانت الاعتداء ، على الاعراض ، أو النفوس ، أو الاموال .. ولو كانت الفواحش والمنكر وكبائر الاثم والفسوق والعصيان .

جـ) كما لا يعرف المادى معنى التسامح والتنازل . لأن ذلك معنى انسانى كريم . وهو قد تعود المبادلات المادية أو المغالطات فلا يكون تنازله عن تسامح ورضاء نفسى . وانما الجبن وخشية ضياع ما فى يده ، أو تفويت فرصة مرتقبة هو الذى يحول بينه وبين أخذ الحق لنفسه فى « جزاء السيئة بمثلها » .

د) أما الشورى فى الامر فليس لها سبيلاً الى نفس صاحب الاتجاه المادى . فيم يشاور غيره ؟ وفيم ينتظر من غيره أن يشير عليه ؟ أيشاور غيره فى أمر هو غلبه عليه ، أو يشير عليه غيره فيما لا مناص من اتباعه ؟ ان المادى لا ارادة له ، وانما هو منجذب دائما نحو المنفعة المادية ، وأن استئثار المتع الدنيوية بفراغ نفسه لا يجعله ذا رأى ، أو يقبل رأيا يخالف ما وقع تحت تأثيره ، ولا ينفك يتأثر به .

وفى ظاهر أمره انه يميل الى الاستبداد ، وكأن له خيارا فى الامر . ولكن الواقع هو ضعيف بماديته ، وغير ذى مشيئته فى تصرفاته وفى رأيه .

هو مظلوم فى أن ينسب اليه الاستبداد ، والانفراد فى الرأى ، وهو نفسه لا يستطيع أن يتخلص مما يمليه عليه اتجاهه المادى وطغيانه ببريق المتع المادية فى دنياه وعالمه .

هـ) وكيف ينتظر منه أن ينفق فى سبيل الله ، أو فى سبيل مصلحة عامة ، أو فى سبيل سد حاجات الآخرين من ذوى الحاجات ، وهو يدور فى تصرفاته حول ذاته ؟ كل شيء في الوجود المـادى يطلبه لنفسه ، ويذل فى سبيل طلبه ، ويقبل المهانة والسخرية واحتقار الذات فى طريق الحصول على ما يطلب ؟

وكيف ينتظر من المادى أن يعطى ولا يأخذ ، وهو الحريص على أن يأخذ ولا يعطى ، أو يعطى الاقل ؟ انه قد يسرق ويرتكب الفحشاء ، ويرتكب جرائم القتل ، وانتهاك الحرمات للآخرين فى سبيل اشباع نفسه من شهوات الدنيا ومتعها المادية . فكيف يكون ذلك الانسان ، الذى يسلك المسلك الانسانى فى الحرص على سد حاجات الآخرين ؟

انه مريض بالمادية . ومن هو مريض بها لا يتصرف تصرف الانسان السليم المعافى ، الذى يملك القدرة على نفسه وعلى ماله ، والذى يستطيع بالرأى الحر أن يوجه مسلكه ويحدد موقفه من الآخرين .

و) ثم كيف ينتصر على الآخرين اذا اعتدوا عليه ، وهو من يجبن ويذل فى سبيل تحقيق مصلحة مادية شخصية له ؟ ان الذى ينتصر هو الذى يؤثر القيم الانسانية العليا يؤثر الآخرة على الاولى .. يؤثر الرأى الحر ، والكرامة البشرية على كل تبعية مادية .

انه لا ينتصر أبدا ، لانه ظالم لنفسه ولغيره معا :

ظالم لنفسه لأنه حرمها من أن تكون نفسا انسانية حرة ، لا تقع تحت سيطرة المغريات المادية وظلامها الدامس فى الوقت ذاته .

وظالم لغيره ، لأنه هو مصدر الاعتداء على غيره ، طالما لا يتهيب ارتكاب الفواحش وكبائر الاثم : « انما السبيل على الذين يظلمون الناس ، ويبغون فى الارض بغير الحق » .

ليس له ايمان حتى ينتصر به وفى سبيله . وايمانه بالمادية ايمان متقلب ومحـدود الاجل والاثر . فلا يدفع لأمـد طويل ، ولا يبقى على الاحـداث والازمات .

□□□

وهنا : الاسلام اذا كشف فى هذه الآيات عن نتائج « المادية » ، ونتائج « الروحية » أو « الزهد » فذلك لمصلحة الانسان الذى يريد أن يعيش انسانا ، ولصالح المجتمع الذى يبغى أن يكون ترابط بعض أفراده ببعض ترابطا قويا ، قائما على الرضا وتودد النفوس وتبادلها فى المحبة والسلام .

ولم يقصد الاسلام اطلاقا بتحديد « المـادية » و « الروحية » وآثار كل منهما على الانسان كفرد وكعضو فى مجتمع ، أن ينفر من الدنيـا ، ويحمل المؤمنين به على تركها وما فيها من متاع ، وما لها من زينة !

ان القرآن الكريم يتيح للمؤمنين به أن يستمتعوا بمتع الحياة الدنيا ، ويتزينوا بزينتها ، الى الحد الذى لا يخرجهم الى المبالغـة والاسراف .. أى لا يخرجهم الى « المـادية » ونتائجها التى من بينها : الشرك و « الوثنية » ، وارتكاب الفواحش ، والبغى ، والاعتداء .

ان القرآن يقول فى بعض الآيات الاخرى :

« يا بنى آدم :

« خذوا زينتكم عند كل مسجد ،

« وكلوا واشربوا ،

« ولا تسرفوا ، انه لا يحب المسرفين
« قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق ؟
« قل : هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا ، خالصة يوم القيامة ، كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون » (١) .

فيأمر بالتزين وبالاستمتاع بالاكل والشرب ، وينعى على من يحرم زينة الله التى هيأها لعباده على الارض ، كما ينعى على من يحرم الطيبات مما تخرج الارض والاستمتاع بها . ثم يؤكد أنها حلال للمؤمنين فى دنياهم ، وخالصة لهم وحدهم فى أخراهم .

ولكن الشىء الذى لا يبيحه للمؤمنين هو « الاسراف » ــ الكفر ــ لأنه يؤدى حتما الى نتائج وخيمة فى حياة الانسان ، وحياة المجتمع معا .. انه يؤدى الى « المادية » وطغيانها وانحرافاتها . ولذا تقول الآية الاخرى بعد ذلك :
« قل :
« انما حرم ربى الفواحش ، ما ظهر منها وما بطن ، والاثم ، والبغى
« بغير الحق ،
« وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ،
« وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون » (٢) .
اذ ما حرمه فى هذه الآية هو آثار « المادية » ونتائجها . وقد كان منها ــ كما ذكر من قبل ــ ارتكاب الفواحش ، والآثام ، والظلم ، والعدوان : على الاموال ، أو الانفس ، أو الاعراض .

وكيف يحرم الاسلام متع الحياة الدنيا وزينتها على المؤمنين به ، وقد جعل الدنيا دار اختبار لايمان المؤمنين بالله ، والاختبار لا تعرف نتائجه الا بالمباشرة الفعلية لما فى الدنيا من متع وزينة . فمن سلك مسلك الاعتدال ولم يلح فى المتع المادية منها ويجعلها الهدف الاخير له فهو المؤمن على الحقيقة . ومن وقف منها موقف المتطرف ، وجعلها تسد عليه منافذ الادراك ، فلا يبصر ولا يسمع الا من نافذة « المادية » وحدها فهو المنافق فى ايمانه ، والمتقلب فى عبادته ، والمشرك بالله :

« انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا » (٣) .

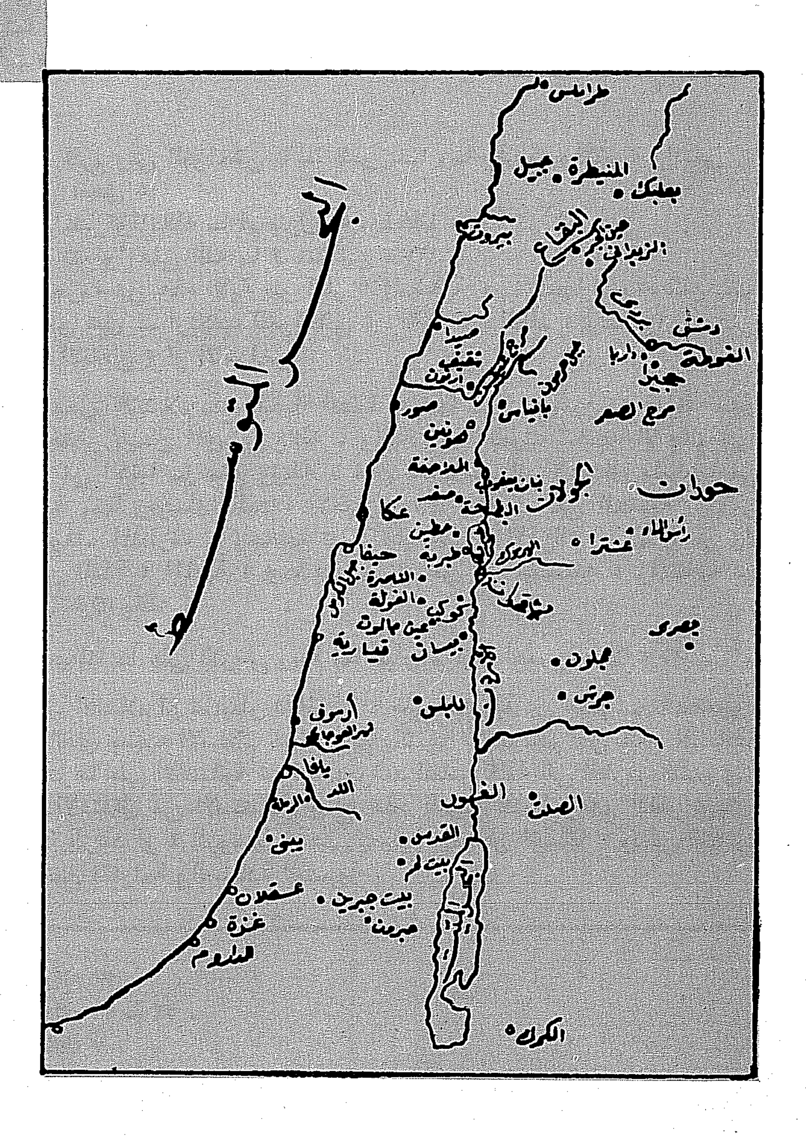
لا يعيب الاسلام أن تسيطر « المادية » على البشرية فى عصر من العصور. ولكن الامر الذى يعيب الاسلام حقا لو لم يكشف الاسلام عن آثار المادية البشعة وخطرها على الانسانية ، ولو لم يرشد الناس كافة الى الطريق السوى ، وهو طريق الاعتدال فى الاستمتاع بمتع هذه الحياة الدنيا وعدم الغلو فيها ، وهو طريق : الزهد أو « الروحية » حتى يعيش الانسان انسانا ، ويبقى المجتمع البشرى مجتمع الكرامة والسيادة البشرية .

---

(١) الاعراف ٣٣ .
(٢) الاعراف ٣١ ــ ٣٢ .
(٣) الكهف ٧ .

الإعداد المعنوي للحرب

بين العقيدة والقيادة



٢١٦ قائدا من الصحابة

٤٠ قائدا من التابعين

صلاح الدين : اعاد القدس فى ((حطين))

قطـــــــز : انقـذ الشرق الاوسط فى ((عين جالوت))

الصـــناديق التى حملها صـــلاح الدين أيام جهاده

للواء الركن : محمود شيت خطاب

– ١ –

جاءني أمس كبير مذيعي محطة اذاعة عربية كبرى وقال : ان كاتبا كبيرا قال عنك بأن على ما تكتبه مسحة دينية !!

ومن الصدف أن يزورني قائد من قادة الفدائيين فى ذلك اليوم فقال لى بالحرف الواحد : « لمـــاذا تحرص على الناحية الدينية فى كل ما تكتب ؟ » .

وبالطبع كان ما نقله المذيع الكبير الى ، وما قاله القائد الفدائي الكبير ، هو فى معرض النقد فهما مؤمنان بأن القائد لا ينبغى أن يكون متدينا !!!

وكنت أحرص على صداقة أخ فلسطينى أعظم الحرص ، لأنه من فلسطين التى خالط حبها قلبى ودمى ، ولأنه مفكر المعى وعالم جليل ، ولكننى اضطررت الى نبذه الى الابد ، لأنه زعم بأن التدين مظهر من مظاهر التخلف ، وأن العرب لن يفلحوا ما لم يتخلوا عن الدين .

هذا الصديق يعمل فى بلد عربى يتمسك معظم الشعب فيه بالدين الحنيف ، فزعم أن سر تخلف هذا البلد العربى يكمن فى تدين شعبه ، ولكن الذى يبشر بالخير — كما عبر ذلك الذى كان صديقى — هو أن طلاب الجامعة فيه يحتسون الخمرة ، لذلك فالبلد مقبل على التحرر والانعتاق من براثن الجهل والتقـــاليد البالية !!

واجتاحنى الغضب الشديد ، وزجرته زجرا عنيفا ، وقررت أن اقاطعه لانحرافه عن الطريق السوى .

وتسأل أمثال هذا الرجل : « هل يحارب الدين العلم ؟ هل يدعو الاسلام الى الجهل ؟ ماذا تعيب على العقيدة الاسلامية منهجا للحياة وسبيلا الى الحق والفضيلة والخير ؟ » .

لماذا اذن نتنكر للدين ؟ ولمصلحة من هذا التنكر ؟
ان الايدى الخفية التى لا تريد الخير للعرب والمسلمين ، هى التى تعمل على اشاعة هذه المفاهيم الخاطئة ، حتى لا تقوم قائمة للعرب والمسلمين .
انى اتحدى كل من يستطيع ان يذكر قائدا عربيا واحدا منتصرا لم يكن يتحلى بالتدين العميق ولم يكن يؤمن بالمثل العليا النابعة من صميم تعاليم الدين الحنيف .
لن يستطيع احد ان يذكر قائدا عربيا واحدا كان له فى ميدان النصر تاريخ ، الا وهو متدين الى ابعد الحدود .
سيد القادات وقائد السادات الرسول القائد عليه افضل الصلاة والسلام هو نبى الاسلام ولا أزيد .
وقادة الفتح الاسلامى العظيم كلهم من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن التابعين عليهم رضوان الله .
لقد أحصيت عدد القادة الفاتحين ، فكانوا (٢٥٦) قائدا عربيا مسلما ، منهم (٢١٦) من صحابة النبى صلى الله عليه وسلم ، و (٤٠) من التابعين عليهم رضوان الله .

وتوقف الفتح الاسلامى العظيم عام ثلاثة وتسعين الهجرية ، وكانت خطط المسلمين العسكرية قبل هذا التاريخ هجومية ، فأصبحت بعده دفاعية : تصد هجوم المعتدين ، وتدافع عن دار الاسلام .
ومع ذلك ، فكل الذين نجحوا فى صد المعتدين من القادة ، كانوا متدينين الى ابعد حدود التدين ، وكانوا امثلة شخصية لرجالهم فى التدين والعمل الصالح يكفى أن اذكر منهم نور الدين الشهيد وصلاح الدين الايوبى .

- ٢ -

سجل لنا التاريخ العربى الاسلامى معارك دفاعية كثيرة خاضها العرب المسلمون دفاعا عن عقيدتهم وعرضهم وأرضهم .
ولعل أهم هذه المعارك معركتان : معركة (حطين) التى قادها البطل المسلم صلاح الدين الايوبى ، ومعركة (عين جالوت) التى قادها قطز صاحب مصر .
ومن الصدف أن تكون هاتان المعركتان فى الارض المقدسة فلسطين : (حطين) قرية تقع غرب بحيرة (طبرية) على بعد اثنى عشر كيلو مترا من مدينة (طبرية) على طريق (طبرية ـــ الناصرة) (وعين جالوت) بليدة صغيرة تبعد خمسة اميال عن مدينة (العفولا) ، تقع بين (العفولا) ومدينة (بيسان) .
ويمكن اعتبار هاتين المعركتين من المعارك الحاسمة ، لأن معركة (حطين) ادت الى استعادة القدس من الصليبيين ، ولأن معركة (عين جالوت) أدت الى انقاذ الشرق الاوسط ومصر من الغزو التتارى الكاسح .
ولقد درست هاتين المعركتين دراسة مستفيضة ، فوجدت أن الفضل الاول لانتصار المسلمين على الصليبيين فى معركة (حطين) يعود الى قيادة صلاح الدين الايوبى ، ووجدت أن الفضل الاول لانتصار المسلمين على التاتار فى معركة (عين جالوت) يعود الى الامامين الجليلين العز بن عبد السلام وأبى الحسن الشاذلى عليهما رضوان الله .

وبمعنى آخر ، أن الفضل الاول فى احراز النصر فى المعركة الاولى كان للقائد ، والفضل الاول فى احراز النصر فى المعركة الثانية كان للجنود .

فى سنة (٥٧٣) الهجرية اشتبك صلاح الدين بالصليبيين على مقربة من مدينة (الرملة) الفلسطينية ، فهزم صلاح الدين ، وقتل وأسر كثير من المسلمين.

وارتد صلاح الدين الى القاهرة ، وقد حزت فى نفسه الهزيمة ، وأخذ يحشد الجيش ويعد العدة لحملة جديدة .

وغادر القاهرة على رأس جيشه الى دمشق ، حيث أمضى هناك زهاء ثلاثة أعوام ، وهو مكب على الاعداد للحرب ماديا ومعنويا بحيث لم تذهب منه لحظة واحدة سدى . وفى خلال هذه الفترة اشتبك مع الصليبيين فى عدة معارك استطلاعية لاختبار قوتهم أولا ، وفى معارك استنزافية لانهاك قوة العدو ثانيا ، وفى معارك تدريبية لتدريب جيشه على القتال عمليا ثالثا وأخيرا ، فاستطاع فى هذه المعارك احراز انتصارات محلية فى (طبرية) و (صور) و (بيروت) ، وهزم الصليبيين فى (حمص) هزيمة شديدة ، واضطر بلدوين ملك بيت المقدس الى طلب الهدنة ، فعقدت بين الطرفين لمدة عامين .

وعاد صلاح الدين الى القاهرة فى منتصف عام (٥٧٦) الهجرية ، فأمضى فيها عاما ونصف عام : يرسم الخطط ، ويعد العدة ، ويدرب رجاله ، ويكمل نواقصهم على هدى الدروس المستفادة من معاركه السابقة ، حتى اطمأن الى كفاية قواته القتالية ، ووثق بقابلياتهم العسكرية .

وفى الخامس من محرم الحرام سنة (٥٧٨) الهجرية ، خرج صلاح الدين من القاهرة ، عاقدا العزم على خوض معركة حاسمة يستعيد بها القدس الشريف .

وبقى فى دمشق أربعة أعوام ، يحشد المجاهدين من كل مكان ، ويستنفر القادرين على حمل السلاح ، ويعد الخطط العسكرية للقتال .

وفى أواخر المحرم من سنة (٥٨٣) الهجرية ، خرج فى قواته من دمشق ، وسار منها الى (بصرى) ليحمى منها طريق عودة الحجاج ، اذ بلغه أن رينو دى شاتيون أمير (الكرك) ينوى الفتك بهم . ولما انتهى عودة الحجاج بسلام سار الى (الكرك) و (الشوبك) وعاث فى أنحائهما .

ووافته جيوش مصر بقيادة أخيه العادل ، وكانت قوات الشام والجزيرة تتلاحق فى تلك الاثناء ، وتجتمع فى دمشق تحت قيادة الملك الافضل ولد صلاح الدين . وسارت من هذا الجيش بأمر صلاح الدين حملة قوية الى ثغر (عكا) لاقتحامه وتخريبه ، فاشتبكت هناك مع الفرنج وفرسان الداوية (فرسان المعبد) والاسبتارية فى معركة طاحنة ، هزم على أثرها الفرنج وقتل مقدم الداوية وجماعة كبيرة من الفرسان ، واستولى المسلمون على كثير من الغنائم .

وسار صلاح الدين فى قواته جنوبا نحو مدينة (طبرية) فاستولى عليها ، ولكن حاميتها اعتصمت بالقلعة . وكان السلطان يهدف الى استدراج الفرنج لمقاتلته فى العراء ، ولكنهم لم يفعلوا ، فترك مدينة (طبرية) وعاد الى معسكره على مقربة منها .

وكان الفرنج قد اجتمعوا فى سهل قريب من (طبرية) ، وكان هذا السهل مقفرا فيه عيون ماء قليلة خربها الفرنج ليحرموا جيش صلاح الدين من الارتواء منها .

ولم يكترث صلاح الدين بمشكلة المـاء ، لأنه كان عازما على مقـاتلة الصليبيين واثقا بنصر الله ، فسار فى اليوم الرابع والعشرين من شهر ربيع الاول سنة (٥٨٣) الهجرية نحو معسكر الفرنج .

ولكن الفرنج حرصوا على منع صلاح الدين من السير نحو مدينة (طبرية) وفتح قلعتها ، فتحركوا نحو مدينة (طبرية) يقصدون به الماء ، فوقف الجيش الاسلامى فى سبيلهم ، واشتبك الطرفان فى عدة معـارك طاحنـة ، قاتل الصليبيون فيها قتالا شديدا ، الا أن كفة المسلمين رجحت عليهم .

واستطاع صلاح الدين محاصرة الفرنج ، فارتدوا نحو تل بقرية (حطين) القريبة يعتصمون به . ولكن صلاح الدين هاجمهم هجوما صـاعقا ، فاشتد القتال ، ودافع الفرنج دفاعا مستميتا ، وردوا المسلمين مرات ، ولكنهم هزموا فى النهاية هزيمة شنيعة ، وأسر المسلمون سائر أمراء الفرنج .

هذه المعركة الحاسمة أدت الى استعادة فتح مدينة (طبرية) و (عكا) و (الناصرة) و (قيسارية) و (حيفا) و (صفورية) و (صيدا) و (بيروت) . وتم هذا الزحف المظفر فى أقل من شهر !!!

ولكن هدف صلاح الدين الحيوى كان استعادة بيت المقدس ، لذلك سار الى (عسقلان) ، لكى يتم عزل بيت المقدس عن البحر . وطوق صلاح الدين هذه المدينة من البر ، وضربها بالمجانيق ضربا شديدا ، حتى استلمت بالامان فى آخر جمادى الثانية سنة (٥٨٣) الهجرية ، ثم استعاد معظم الحصون والمدن المجاورة .

ويمم صلاح الدين شطر المسجد الاقصى ، فأشرف على بيت المقدس فى منتصف شهر رجب من سنة (٥٨٣) الهجرية ، وكانت تموج بجموع زاخرة من الفرنج الذين قصدوها من سائر البلاد للدفاع عنها .

وحاصر صلاح الدين المدينة المقدسة ، وشدد عليها الحصار ، وتمكن المسلمون من نقب السور . فلمـا علم الفرنج بخطورة الموقف ، أوفدوا الى صلاح الدين وفدا من رؤسائهم يطلبون الامان .

ودخل المسلمون بيت المقدس فى يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب (٥٨٣) الهجرية ، فرفعوا أعلامهم فوق الاسوار وفوق المسجد الاقصى ، وأبدى صلاح الدين مع الفرنج منتهى التسامح كما تشهد مصادرهم التاريخية .

كان تعداد جيش المسلمين اثنى عشر ألف مقاتل فى معركة (حطين) ، وكان تعداد جيش الفرنج خمسين ألف مقاتل .

وكان تعداد جيش المسلمين فى معركة (بيت المقدس) أقل من اثنى عشر ألفا ، وكان المقاتلون من الفرنج فى القدس ستين ألفا .

وانتصرت الفئة القليلة على الفئة الكبيرة باذن الله .

كانت أسباب النصر كثيرة على رأسها قيادة صلاح الدين ، لأنه وهب حياته للجهاد فى سبيل الله ، وكانت العقيدة الاسلامية تملأ نفسه ومشاعره يضطرم بها ولا يؤمن بغيرها ، وكان وافر الحلم جم التواضع متقشفا فى ملبسه وطعامه ، ينفق كل ما تصل اليه يده فى أغراض الجهاد ومصالح المسلمين ، لا يهتم بشىء من أعراض هذه الدنيا من مال أو قصور أو غيرها ، حتى انه لمـا توفى لم يخلف مالا ولا عقارا ، ولم يجدوا فى خزائنه شيئا من الذهب أو الفضة سوى دينار واحد وسبعة وأربعين درهما .

وكان صلاح الدين الايوبى يحمل صناديق مقفلة فى أيام جهاده ، يحرص عليها أعظم الحرص ، ويرعاها أعظم الرعاية .

وظن الذين من حوله من المقربين اليه ، بأن هـذه الصناديق تخفى فى بطونها جواهر ويواقيت ومالا ، ولكن بعد وفاته فتحت تلك الصناديق ، فوجد الذين فتحوها أنها تحوى على وصية صلاح الدين وكفنه الذى اشتراه من كده ، وكمية من التراب .

وفتحت الوصية فكان مما جاء فيها : « أكفن بهذا الكفن الذى تعطر بمـاء زمزم وزار الكعبة المشرفة وقبر النبى صلى الله عليه وسلم » .
« وهذا التراب هو من مخلفات أيام الجهاد ، تصنع منه طابوق يوضع تحت رأسى فى قبرى » .

وصنع من هذا التراب اثنتى عشرة طابوقة كبيرة تستقر اليوم تحت رأس صلاح الدين عليه رضوان الله فى رمسه ويلقى الله بها يوم الدين .

لقد كان صلاح الدين بعد عودته من كل معركة يخوضها جهادا فى سبيل الله ، يحرص على جمع التراب المتكاثف فوق وجهه وثيابه ويضعه فى صندوق من صناديقه السرية ، وقد استطاع جمع هذه الكمية الكبيرة من التراب التى صارت اثنتى عشرة طابوقة (الطوب) ، فكم عدد المعارك التى خاضها جهادا لاعلاء كلمة الله !!!

مات صلاح الدين فى السابع والعشرين من شـهر صفر سنة (٥٨٩) الهجرية ، أى بعد سنتين من معركة (حطين) وفتح بيت المقدس ، وكان عمره يوم مات ستة وخمسين عاما ، فقال عن موته شهاب الدين القدسى صاحب كتاب الروضتين فى تاريخ الدولتين : « كان يوما لم يصب الاسلام والمسلمون بمثله مذ فقد الخلفاء الراشدون ، وغشى القلعة والبلد والدنيا من الوحشة ما لا يعلمه الا الله تعالى » .

هل كان ينتصر صلاح الدين ، لو صرف كل همه الى فرجه وجيبه ومسكنه ومأكله ؟
هيهات ....
ان الفرق الكبير بين الانسان والحيوان ، هو أن الانسان له مثل عليـا يؤمن بها ويضحى من أجلها ، وهذه المثل العليا هى العقيدة .

والانسان يؤثر مثله العليا على متاع الدنيا ، لأن تلك المثل هى الباقية ولأنها نابعة من الانسانية الحقة .

أما الحيوان فهو الذى يؤثر فرجه وعلفه واسطبله وهى متاعه فى الدنيا الفانية التى يعيش من أجلها الحيوان وبها أصبح حيوانا .
فكم من البشر أخلدوا الى الارض ، فأصبحوا حيوانات بل هم أضـل سبيلا ؟!
فما عبرة معركة (عين جالوت) التى تفيد العرب والمسلمين فى حاضرهم ومستقبلهم ؟

ذلك هو موضوع مقال جديد أقدمه للقراء قريبا باذن الله .

فوضى الحلال والحرام في غياب التشريع الحق

للشيخ : محمد الغزالي

الامة الاسلامية اليوم تمثل جماهير كثيفة من الشعوب المتخلفة ..

والفروق بين الشعوب المتخلفة والشعوب المتقدمة كثيرة ومنوعة ، ويمكن ردها اجمالا الى خلل حقيقى فى المواهب الانسانية الرفيعة ، خلل عاق هـذه المواهب عن أداء وظائفها باقتدار واجادة !!

وليس بصعب على من يرقب الامم المتـأخرة أن يلحظ كسلها العقلى فى ميدان المعرفة ، وكسلها العقلى فى ميدان الانتاج ، وضعف الاخلاق التى تحكم أقوالها وأحوالها ، وكثرة التقاليد التى تمثل طبائع الرياء والاثرة والملق والضياع الفردى والاجتماعى .

ان هناك انهيارا حقيقيا فى البناء الانسانى للشعوب المتخلفة ، والاصلاح الجاد يستهدف اعادة هذا البناء ، ودعمه خلقيا ، واقتصاديا ، وسياسيا ..

ونحن ـــ المشتغلين بالدعوة الاسلامية ـــ نعالج هذا العمل الشاق ، ونزيح العقبات التاريخية والطارئة التى تعترض طريقنا وما أكثرها ..

وهناك ناس يعملون لهذا الهدف هدف بناء أمة جديدة ، ولكنهم ـــ بمؤثرات شتى ـــ لا يرتبطون بالاسلام ولا يستشيرونه فى حل مشكلة أو شفاء علة .

وظاهر أن هؤلاء الناس هم الذين نشأوا فى ظل الاستعمار الاوروبى ، وآذاهم أن تكون بلادهم محقورة الشأن ، زرية الظاهر والباطن ، فأرادوا أن تلتحق بالركب المتقدم عن طريق التشبه به والاقتباس منه .

ولـمـا كان علم هؤلاء بالاسلام قليلا ، فانهم لم يحـاولوا الافادة منه أو الارتباط به ، بل مضوا فى طريق التقليد للشعوب المنتصرة فى ظـاهر أمرها وباطنه ، وعذرهم ـــ أمام أنفسهم على الاقل ـــ أنهم يبغون النهوض بأمتهم .

ولست الآن بصدد نقد هؤلاء ، بل سأتناول باللوم والانكار مواقف بعض

المتدينين القاصرين الذين يسيئون الى الاسلام من حيث ينشدون خدمته ..
أن تبذل النساء فى هذا العصر بلغ حد السفه وهبط الى درك سحيق من الحيوانية المنكورة ..

وصيحات الوعاظ لوقف هذا التيار تذهب بددا ..
لماذا ؟ لأن تناولهم لقضايا المرأة مشوب بالغموض أو الجهالة ، متسم بالسلبية والعجز ، محكوم بتقاليد ما أنزل الله بها من سلطان ..
وأغلبهم لو أمكنته الفرص لرد المرأة الى البيت ، وغلق عليها الابواب ، وحرمها مختلف الحقوق المادية والادبية ، وجعلها القدم العرجاء للانسانية السائرة أو الجناح المكسورة للامم الصاعدة ..
والمسلمون فى العصر الماضى خالفوا الاسلام مخالفة مستغربة فى الطريقة التى تحيا بها المرأة ..
فهم حرموها حق العبادة .. بتعبير العصر الحديث — وحظروا عليها دخول المساجد ، ويوجد فى أنحاء مصر نحو سبعة عشر ألف مسجد لا ترحب بدخول المرأة ، ولم يبن فى أحدها باب مخصص للنساء ، كما فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بنى مسجده بالمدينة المنورة ..
وقد بذلنا بعض الجهود لتغيير هذه الحال ، ولم ننجح الا فى حدود تافهة ..!! مع أن صفوف النساء فى بيوت الله كانت احدى معالم المجتمع الاسلامى الاول .
وهم حرموها حق العلم — بتعبير العصر الحديث — فلم تفتتح المدارس الابتدائية والاعدادية والثانوية والعالية للمرأة الا بعد محاولات ومجادلات مضنية ، ولم تدخل الازهر الا بعد تطوره الحديث . مع أن النبى صلى الله عليه وسلم جعل طلب العلم فريضة على الرجال والنساء ، ومع أنه أمر باخراج النساء وهن حوائض ليشهدن الخير ويعرفن دعوة الاسلام .
وهم رفضوا أن يكون لها دور فى احقاق الحق وابطال الباطل ، وصيانة الامة بنشر المعروف ، وسحق المنكر مع أن الله قال فى كتابه (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ..)
ان الفكرة التى سيطرت على أدمغة نفر من المتدينين هى عزل المرأة عن الدين والدنيا معا ، واجتياح كيانها الشخصى والمعنوى ..
ولا تزال هذه الفكرة أملا يحركهم ويحملهم على ترويج أحاديث موضوعة أو واهية ، وتكذيب أحاديث صحيحة أو حسنة ، وعلى تفسير القرآن الكريم بآراء لم يعرفها أئمته ، ولا قام عليها مجتمع الاصحاب والتابعين !!
بل أستطيع القول : ان الجاهلية التى دفعت اليها المرأة الاسلامية بهذا الفكر القاصر جعلتها دون المرأة فى الجاهلية الاولى ..
فان المرأة العربية ظهرت فى بيعة العقبة الكبرى كما ظهرت مبايعة بعد فتح مكة ، وقارب عدد النساء المبايعات ستمائة امرأة ..!!
وجهلة المتدينين تستكثر على المرأة المسلمة هذه المكانة الكبيرة ، وقد نتج عن هذا التفكير فى قضية المرأة ، وعن التفكير المماثل له فى قضايا أخرى كثيرة ، ان ظلم الاسلام ظلما شديدا وأن أساء به الظن من لم يحط به خبرا ، ومن لم يحسن له فقها .
وعندى أن افلات النهضة النسائية من قيود الاسلام الحقيقية يرجع الى هذا العجز والغباء .

وقد لاحظت أن بعض المصلحين الذين اشتغلوا بتحرير المرأة قد جرأهم هذا الموقف على ارتكاب حماقات سيئة ..

فهم لما قاوموا بنجاح أخطاء بعض المتدينين اندفعوا فى طريقهم مغالين فخطأوا الدين نفسه حيث لا مجال لتخطئة ولا مكان لتصويب ..

وانه لمن المحزن أن يسىء الدعاة عرض دينهم فى ميدان ما فترفع الثقة بهم فى كل ميدان ، ثم ينفتح الباب على مصراعيه ليتناول من شاء أحكام الاسلام بالمحو والاثبات . يقبل منها ما يعجبه ، ويرد منها ما ينبو عنه مزاجه اللطيف .

أكتب ذلك وبين يدى كتاب مطالعة للمدارس الثانوية ألف على عهد وزارة المعارف ، وراجعه الدكتور طه حسين بك وآخرون .

فى الفصل الثالث من هذا الكتاب حديث عن قاسم أمين ، وردت فيه هذه العبارات وصفا له ولمذهبه فى الحياة العامة يوم كان يلى منصب القضاء « .. ولم يتقيد فى قضائه بآراء الفقهاء أو أحكام المحاكم مما يعتبره أكثر القضاة حجة لا محيد عنها ، بل لم يتقيد بنص القانون اذا لم يصادف هذا النص مكان الاقتناع منه . وهذا مما جعله ميالا للرأفة فى قضائه نافرا أشد النفور من حكم الاعدام !! فقد كان يرى « أن العفو هو الوسيلة الوحيدة التى ربما تنفع لاصلاح المذنب » وأن « معاقبة الشر بالشر اضافة شر الى شر » وأن « التسامح والعفو عن كل شىء وعن كل شخص هما أحسن ما يعالج به السوء ويفيد فى اصلاح فاعله » وأن « الخطيئة هى الشىء المعتاد الذى لا محل لاستغرابه والحال الطبيعية اللازمة لغريزة الانسان » ..

فاذا كانت الجماعة لم توفق بعد الى ادراك هذه الافكار ، وكانت قوانينها التى وكل الى تطبيقها — هكذا يتحدث قاسم أمين القاضى عن نفسه !! — ما تزال تجرى على سنة القصاص والانتقام ، وما تزال دموية متوحشة فلا أقل من أن يتحاشى الاعدام وهو أشد ما فيها وحشية ، وهو العقوبة الوحيدة التى لا سبيل لعلاجها اذا ظهر خطأ القاضى ، أو ثابت الجماعة الى رشدها ورأت تعديل أساس عقوبتها بجعل العقوبة للاصلاح لا للقصاص ، أو أخذت بمذهب العفو والتسامح .

والقارىء الذى يطالع هذه الجمل العمياء يحس أن صاحبها يصطدم بالوحى الالهى اصطداما مباشرا ، وينكر شريعة القصاص ، ويصفها بالوحشية !! ويكذب أن فى القصاص حياة ويوغل مع الخيال فيظن العفو العام فى كل حال وعن كل شخص قاعدة الاصلاح الاجتماعى الصحيح !!

والكلام كله لغو قبيح بل مجون يعزل صاحبه لا عن منصب القضاء وحسب بل عن الفتيا فى مشكلات الناس ، ودعك من أن قائل هذا الكلام مجرد تجردا تاما من كل احترام لنصوص الكتاب والسنة ..

ومع ذلك فان طلاب المدارس الثانوية أيام وزارة المعارف — يقرؤون عقب هذا الكلام الغث تلك العبارات : كانت روح قاسم روح أديب ، وكانت الروح العصبية الحساسة الثائرة التى لا تعرف الطمأنينة ولا تستريح الى السكون ، وكانت الروح المشوقة التى لا تعرف الانزواء فى كن ، بل تظل متمحضة للبحث والتنقيب حتى تنسى نفسها ، وتستبدل بكنها ما فى الكون من نشاط وجمال .. وفى ظننا أن الدعوة الى تحرير المرأة من رق الجهل ورق الحجاب لم تكن كل برنامج قاسم أمين الاجتماعى ، وانما كانت حلقة منه هى أعسر حلقاته وأعقدها » .

ونحن نقول ان قاسما وغيره ممن نهج فى الحياة منهجه كانوا أشخاصا

ينقصهم قدر كبير من العلم الدينى والمدنى ، وأنهم استغلوا القصور الشائن الذى غلب على المتحدثين باسم الاسلام فهجموا على الامور هجوما شاملا كان شره أكثر من خيره ..

وربما استطاعوا أن يكتسحوا رجال الدين — ان صحت التسمية — فى مجال النشاط النسائى لما علمت من حقيقة الموضوع . لكن التطويح بشرائع القصاص ومن ورائها بقية الحدود غباء ضارب الجذور ، وانسلاخ عن الاسلام لا يجدى فيه دفاع ، ولا يساق فيه عذر ..

اذا قال الله « فى القصاص حياة » فجاء غر يقول : فى القصاص هلاك فليس هذا جهلا فقط ، ولكنه ارتداد عن الاسلام وكفر بواح عندنا من الله فيه برهان .

وقد بلغنى أن موظفة فى الاذاعة فى أحد البرامج وصفت قطع السارق بأنه وحشية ، ولم يفاجئنى هذا الارتداد الصريح ، فان التمهيد الثقافى له بدأ من عهود الاحتلال الاجنبى لشتى البقاع الاسلامية ..

وما نقلناه هنا من أن آراء قاسم التى وضعت بين يدى طلاب الصفوف الثانوية يشهد لذلك .

ونريد أن يعلم القاصى والدانى أن كل طعن فى نصوص الاسلام القاطعة مردود على صاحبه ، وأنه ضرب من الارتداد يخدم الاستعمار الحاقد على بلادنا وتاريخنا ..

ولا فرق عندنا بين ارتداد جزئى وارتداد كلى ، فان أبا بكر رضى الله عنه حارب جاحدى الزكاة مع من عاد الى الوثنية بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

مع أن مانعى الزكاة زعموا أنهم مؤمنون بالله وأقام الصلاة .

بيد أن هذا الزعم لم يخدع الخليفة الاول ولا جمهرة الصحابة ، فقاتلوا الفريقين جميعا وعدوا هؤلاء وأولئك كفارا لا شك فى كفرهم ..

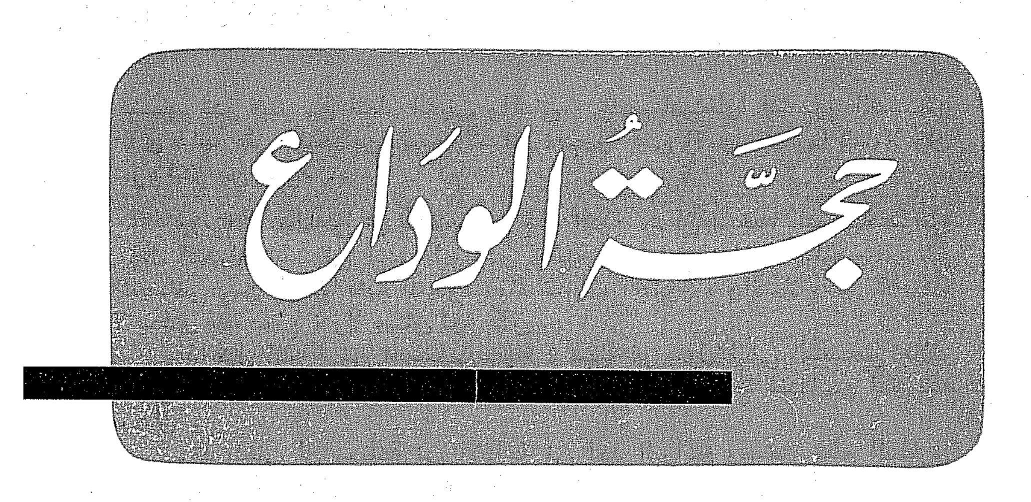
والحقيقة التى لمسناها أن الناقمين على شرائع الحدود والقصاص قوم لا يقين لديهم ولا صلاة لهم ، وأن علاقتهم بالقرآن مقطوعة ، وأنهم ما يستبقون نسبتهم الى الاسلام الا لظروف عارضة ، أو ليكيدوا له وهم داخل دائرته ..

وكلمة أخيرة للمتصلين بالعلوم الدينية ، انه لا يشرفهم أن يتبعوا حديثا واهيا ويدعوا الاحاديث الصحيحة ، كما لا يشرفهم أن يعرفوا رأيا فقهيا ويجهلوا رأيا آخر ..!! انهم يضرون الاسلام ضررا بالغا حين تكون صورته فى أذهانهم ناقصة أو شائهة ، ثم حين يزعمون مع هذا النقصان والتشويه أنهم علماء الدين وحراسه ..

ان القرن الاول — من بين القرون الاربعة عشر التى تمثل تاريخنا — هو أقرب الصور الى حقيقة ديننا .. فكيف يحكم الاسلام (متن) من متون الفقه ألف أيام الاضمحلال العقلى لأمتنا ، أو كيف يحكم الاسلام تصرف تركى فى مجال السياسة أو المجتمع ..؟؟

لقد كان الاستبحار العلمى سمة ساطعة لأمتنا فى أعصارها الاولى ، فلا يجوز أن يقطعنا عن هذا الماضى الزاهى جهل عارض ، أو فكر غامض .

ويوم يعود المسلمون الى دينهم الحق ، فان التخلف المزرى اللاصق بهم اليوم ستنجلى غمته وتنكشف ظلمته وسيأخذون طريقهم مرة أخرى الى الصدارة والتقدم ..



كان أول من قام بامـــارة الحج . عتاب بن أسيد ، سنة ثمان للهجرة حين ولاه النبى على مكة بعد فتحها وفى سنة تســـع من الهجرة بعث رسول الله صلى الله عليه وســـلم أبا بكر اميرا على الحج ، فخرج أبو بكر فى ثلثمائة رجـــل من المدينة ، وبعث معه رسول الله صـــلى الله عليـــه وســـلم عشرين بدنة . وكان لأبى بكر خمس بدنـــات . وفى ذلك الوقت كانت العرب لا تزال فى جاهلية فاسقة يعلنون شركهم فى مشـــاعر الحج ، ويطوفون بالبيت عراة . وفى الوقت الذى كان فيه أبو بكر قد سار الى مكة لقضاء مشاعر الحج ، نزلت ((سورة براءة)) على رسول الله صلى الله عليه وسلم . ونقضت ما بين الرســـول والمشركين من العهد . وأعلنت أن البيت الآن أصبح يخضع لتعاليم السماء التى جاء بهامحمد . فأرسل النبى بها على بن أبى طالب . فركب ناقة رسول الله . ولما لحق على بابى بكر ، قال له . أستعملك رسول الله على الحج ؟ فقال على : لا ولكن بعثنى أقرأ ((براءة)) على الناس وأنبذ الى كل ذى عهد عهده ، فمضى الناس . وقرأ على سورة براءة على الناس يوم النحر عند الجمرة ، ونبذ الى كل ذى عهد عهده وقال : لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان .

وبعد انتهاء مشاعر الحج رجعا الى المدينة (١) وفى السنة العاشرة حج النبى صلى الله عليه وسلم حجة الوداع .

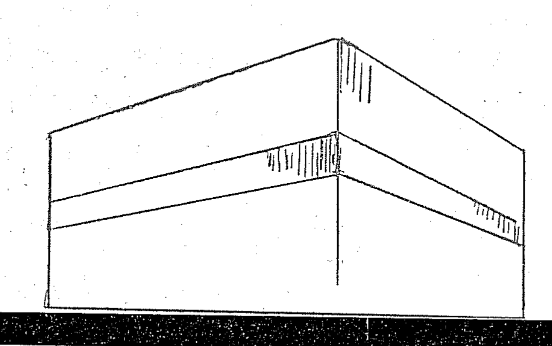
الدعوة للحج

مكث صلى الله عليه وسلم فى المدينة المنورة تسع سنوات .. بعدها فى الســـنة العاشرة دعـــا الناس للاستعداد للحج فلبت جموع هائلة من المدينـــة المـــنورة ومن قرأها . وجاءت بعض القبائل العربيـــة من أواسط الجزيرة وأطرافهـــا للمسير مع رسول الله .

لقد جاءت هـــذه الجموع من كل بقعة من هذه البلاد العربية المترامية

---

(١) الطبقات الكبرى ــ لابن سعد ٢/١٦٨



للأستاذ : **عبد الله علي الماجد** — الرياض

الأطراف بعد أن استنارت كلها بنور الله ونور نبيه الكريم . تجمع هؤلاء الناس واقاموا حول المدينة المنورة وكان عددهم مائة ألف ، وقيل تسعون ألفا . وقال آخرون أربعة عشر ومائة ألف . وقد أصاب بعض الناس مرض الجدرى أو الحصبة الذى تفشى بين عدد منهم ، مما أخر بعضهم عن الحج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأعلن لهم أن عمرة فى رمضان تعادل حجة .

ولما كان يوم الرابع والعشرين من شهر ذى القعدة فى يوم الخميس (١) سار ركب النبى بعد أداء صلاة الظهر فى المدينة . ووصل الركب ميقات (٢) أهل المدينة الذى يحرم عنده الحاج وقت العصر واقام صلى الله عليه وسلم الصلاة قصرا (ركعتين) .. وبات ليلة بها حتى الصباح ، فطاف على نسائه واغتسل تلك الليلة وصلى الصبح . ثم طيبته عائشة رضى الله عنها وكانت تقول :

« كنت أطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يحرم ويحل . ويوم النحر ، قبل أن يطوف بالبيت بطيب فيه مسك . أى بعد التحلل الاصغر الذى يحل فيه كل شىء كان محرما للاحرام ما عدا النساء .

أحرم النبى صلى الله عليه وسلم واحرم المسلمون معه كل قد كسى بشرته بازار ، ورداء . وصار ينتظمهم جميعا زى واحد هو أبسط ما يكون زيا ، محققين بذلك المساواة باسمى معانيها .

التلبية فى حجة الوداع

سار ركب الحجيج تتوسطهم (القصواء) ناقة النبى صلى الله عليه وسلم . وبدأ بتلبيته التى رددها معه الجميع :

(لبيك لا شريك لك لبيك . ان الحمد والنعمة لك . والملك لا شريك لك) .

---

(١) وقع حول ذلك خلاف . قيل أنه خرج من المدينة يوم خمس وعشرين . ولكن الصحيح هو ما ذكره ابن حزم الاندلسى من أنه أربع وعشرون — انظر حجة الوداع — صفحة ٣٨ .

(٢) ميقات أهل المدينة ذو الحليفة وهو يبعد عن المدينة المنورة بمقدار ٣ أميال وهو المعروف الآن بآبار على

وزاد على ذلك فقال .

(لبيك اله الحق) .

ثم أتاه جبريل (عليه السلام) فأمره أن يأمر أصحابه بأن يرفعوا أصواتهم بالتلبية (١) . وتجاوبت الصحارى بهذا النداء . وانطلق هذا الركب يقطع الطريق بين مدينة الرسول ومكة المكرمة . وكان صلى الله عليه وسلم ينزل عند كل مسجد فى الطريق ليؤدى الصلاة وهو رافع الصوت بالتلبية .

تعاليم الحج

ولما بلغ الحجاج (سرفا) (٢) حاضت عائشة (رضى الله عنها) وكانت قد أهلت بعمرة . فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تنقض رأسها وتمشط وتدع أعمال العمرة . وأن تدخل على العمرة حجا . وتعمل جميع أعمال الحج . الا الطواف ما لم تطهر . وحول هذا قول عائشة (لبينا) (٣) بالحج حتى اذا كنت بسرف . حضت . فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكى فقال . ما يبكيك يا عائشة . قلت . حضت . ليتنى لم أكن حججت . فقال : (سبحان الله . انما ذلك شىء كتبه الله على بنات آدم . امسكى المناسك كلها ، غير ألا تطوفى بالبيت) ولما طهرت طافت بالكعبة والصفا، والمروة ، ثم قال عليه الصلاة والسلام (قد حللت من حجتك وعمرتك) .

قالت . يا رسول الله انى اجد فى نفسى لم أطف بالبيت ، حتى حججت . قال : فاذهب بها يا عبد الرحمن (٤) فاعمرها من التنعيم .

وكانت أسماء بنت عميس الخثعمية زوجة أبى بكر رضى الله عنه . قد ولدت بالشجرة محمد بن أبى بكر . فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم . أبا بكر ، يأمرها بأن تغتسل وتهل . وقد استهل هلال شهر ذى الحجة ليلة الخميس ، اليوم الثامن من خروجه عليه الصلاة والسلام من المدينة . وبذلك يكون يوم عرفة فى حجة الوداع يوم الجمعة التاسع من ذى الحجة .

وأمر رسول الله أصحابه . بأن من لم يكن معه هدى ان احب أن يجعلها عمرة ، فليفعل . ومن كان معه هدى ، فلا . فمنهم من جعلها عمرة . كما أبيح له . ومنهم من استمر على احرامه بالحج . وأما من كان معه هدى فقد استمر على احرامه .

وروى عن عائشة رضى الله عنها انها قالت : (خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه عام حجة الوداع فأهللنا بعمرة) .

---

(١) انظر (حجة الوداع) لابن حزم صفحة ٤٦ .

(٢) سرف موضع على ستة أميال من مكة المكرمة .

(٣) اذا كانت قد نوت عمرة أولا كما هو المذكور سابقا فيكون معنى كلامها . لبينا بالحج .. أى خرجنا للحج ، وهذا لا ينافى أن بعضهم نوى حجا وبعضهم نوى عمرة فقط كعائشة ، والمعروف أن الرسول نصح بالعمرة فقط الا لمن ساق معه هديا . وقال لو استقبلت من أمرى ما سقت الهدى وفى حديث آخر لعائشة . فأهللنا بعمرة .

(٤) هو أخوها عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنه .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من كان معه هدى ، فليهل بالحج مع العمرة ، ثم لا يحل حتى يحل منهما جميعا) .

دخول مكة المكرمة

بات رسول الله صلى الله عليه ليلة الأحد ، بذى طوى الرابع من ذى الحجة ، وصلى الصبح بها . ودخل مكة المكرمة نهارا من أعلاها من الثنية العليا من كداء ، صبح يوم الاحد . فعمد عليه الصلاة والسلام والمسلمون من بعده الى الكعبة المشرفة . فاستلم الحجر الأسود . وطاف بالكعبة سبعا . منها أربع مشيا . وثلاث هرول فيهن . وكان يقبل الحجر الاسود ، والركن اليمانى (١) فى كل مرة منها . وكان يقول بينهما (ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) ولا يمس الركنين الآخرين اللذين فى الحجر . وبعد ذلك اتجه الى مقام ابراهيم عليه السلام . فصلى عنده ركعتين قرأ فيهما بعد الفاتحة . (قل يا أيها الكافرون . وقل هو الله أحد) .

وكان صلى الله عليه وسلم قبل صلاته هذه وعند ما بلغ مقام ابراهيم قرأ . (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) . وبعد انتهائه من صلاته . عاد فقبل الحجر الأسود كرة أخرى . بعد ذلك خرج الى الصفا فقرأ .

(ان الصفا والمروة من شعائر الله) أبدأ بما بدأ الله به . فطاف بين الصفا والمروة ، سبعا . راكبا على بعيره يهرول ثلاثا . ويمشى أربعا . وكان اذا ارتقى ربوة الصفا والمروة . ألقى نظرة الى الكعبة ويقول .

(لا اله الا الله وحده . أنجز وعده ونصر عبده . وهزم الأحزاب وحده) بعد ذلك نادى محمد صلى الله عليه وسلم فى الحجاج ألا يبقى على احرامه من لا هدى معه ينحره . فتردد بعضهم فقال عليه الصلاة والسلام (لو استقبلت من أمرى ما استدبرت ،ما سقت الهدى حتى اشتريه . ولجعلتها عمرة . ولأحللت كما أحللتم . ولكنى سقت الهدى . فلا أحل حتى أنحر الهدى) .

وكان على رضى الله عنه قد قدم من غزوته فى اليمن . وقد أحرم للحج لما علم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حج بالناس . واستنكر بعض الأمر على من رآه قد حل وخاصة زوجته . فذهب الى النبى فأمره بالطواف بالبيت والحل فأخبره على انه أهل كما أهل رسول الله ، وكان لا هدى مع على رضى الله عنه فأشركه النبى معه فى هديه ، فأدى مناسك الحج الأكبر .

الى منى

وفى الثامن من ذى الحجة يوم التروية توجه الى منى محرما ضحى

(١) اعتمد الكاتب على حديث رواه الدار قطنى عن ابن عباس ، وهو حديث ضعفه بعض المحدثين وقطع ابن قيم الجوزية فى زاد المعاد بانه صلى الله عليه وسلم استلم الركن اليمانى ولم يقبله

يوم الخميس ، وتبعه أصحابه من كان محرما . والبقية أحرموا من الابطح بالحج ، وتبعوه الى منى ، فأقام فيها وصلى فروض يومه بها وقضى الليل حتى مطلع الفجر من يـوم عرفة ، فصلى الفجر وركب ناقته القصواء متوجها الى عرفات ومن ورائه الناس وأمر بأن تضرب له قبة من شـعر بنمرة .

فلما زالت الشـمس أمر بناقتـه القصواء فرحلت ، ثم سار حتى أتى بطن الوادى من أرض عرفة . وهناك نادى فى الناس — وما يزال على ناقته — بصوت جهورى كان يردده من بعد (ربيعة بن أمية بن خلف) وهو يقف بين عبارة وأخرى ، قائلا بعد أن حمد الله وأثنى عليه .

خطبة الرسول الجامعة

أيها الناس اسمعوا قولى ، فانى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبدا .

أيها الناس ان دمائكم وأموالكم عليكم حرام الى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا ، وكحرمة شهركم هذا . وانكم ستلقون ربكم فيسـألكم عن أعمالكم وقد بلغت . فمن كانت عنده أمانة فليؤدها الى من ائتمنه عليها ، وان كل ربا موضوع ، ولكن لـكم روس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون قضى الله انه لا ربا ، وان ربا عباس ابن عبد المطلب موضوع كله . وان كل دم كان فى الجاهلية موضوع ، وان أول دمائكم أضـع دم ابن (٢) ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ..

أما بعد أيها الناس ، فان الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هـذه أبدا . ولكنه ان يطع فيما سوى ذلك فقد رضى به مما تحقرون من أعمالكم فاحذروه على دينكم .

أيها الناس ان النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحـلوا ما حـرم الله ويحرموا ما أحل الله .

وان الزمان استدار كهيئته يـوم خلق الله السموات والارض ، وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ، ثلاثة متوالية ورجب مفرد (٣) الذى بين جمادى وشعبان .

أما بعد ، أيها الناس ، فان لكم على نسائكم حقا ، ولهن عليكم حقا ، لكم عليهن الا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه ، وعليهن ألا يأتين بفاحشة مبينة . فان فعلن فان الله قد أذن لكم أن تهجروهـن فى المضـاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح . فان انتهين فلهن رزقهن وكسـوتهن ، بالمعروف ، واستوصـوا بالنسـاء خيرا ، فانهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسـهن شـيئا ، وانكم انما أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمات الله .

فاعقلوا أيها الناس قولى فانى قد بـلغت . وقـد تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا أبـدا أمرا بينا . كتاب الله وسنة رسوله .

أيها النـاس ، اسـمعوا قولى واعقلوه — تعلمن أن كل مسلم أخ

---

(١) نمرة . قرية بشرقى عرفات . والقبة خيمة من شعر صوف الابل .

(٢) عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب .

(٣) ورد فى بعض الكتب (مضر) . ابن كثير ٢٠٢/٥

للمسلم وأن المسلمين اخوة فلا يحل لأمرىء من أخيه الا ما أعطاه عن طيب نفس منه ، فلا تظلمن أنفسكم. اللهم هل بلغت ؟)

وكان النبى يكلف ربيعة أن يسألهم فى بعض المواقف على الكلمات التى قالها الرسول فى سياق خطبته . حرصا منه صلى الله عليه وسلم على تبليغ ذلك الى أذهان الناس . ولما بلغ خاتمة كلامه وقال . اللهم هل بلغت ، أجاب الناس من كل صوب . نعم . فقال . اللهم اشهد .

وكانت خطبته هذه عليه الصلاة والسلام بمثابة تشريع للناس فى أمور دينهم ، وبيان ما تهدف اليه تعاليم الله سبحانه وتعالى ورسوله الذى نطق بهذا .

(وما ينطق عن الهوى . ان هو وحى يوحى) .

ولما أتم النبى خطبته نزل عن ناقته القصواء ، وأقام حتى صلى الظهر والعصر ، ثم ركبها (١) متجها الى المزدلفة ليلة السبت ، العاشرة من ذى الحجة ، وصلى بها المغرب والعشاء .

فى المزدلفة

وبات ليلته فى المزدلفة ، ثم قام الفجر ، وصلى بالناس يوم السبت (يوم العيد) — (يوم الحج الأكبر) . واذن للنساء والضعفاء الرمى بالليل . وبعد صلاته الفجر نزل بالمشعر الحرام . وقبل طلوع الشمس تهجز الى منى وقد أردف الفضل بن العباس ، فأتى جمرة العقبة فرماها بسبع حصيات وهو راكب على راحلته يكبر مع كل حصاة .

فى منى مرة أخرى

وخطب بمنى خطبة كرر فيها تحريم الدماء والأموال والاعراض وأكد فيها حرمة النحر وحرمة مكة على البلاد وأمر بالسمع والطاعة لمن نادى بكتاب الله عز وجل . وأمر الناس أن يأخذوا مناسكهم . فلعله لا يحج بعد عامه ، وعلمهم مناسكهم . ثم اتجه عليه الصلاة والسلام الى المنحر بمنى . فنحر ثلاثا وستين بدنة . ثم أمر عليا فنحر ما بقى منها ، وكان تمام المائة . ثم حلق رأسه . وضحى عن نسائه بالبقر . وأهدى عمن اعتمر منهن بقرة . وضحى فى ذلك اليوم بكبشين أملحين . وطيبته عائشة بطيب فيه مسك . بعد أن حل احرامه .

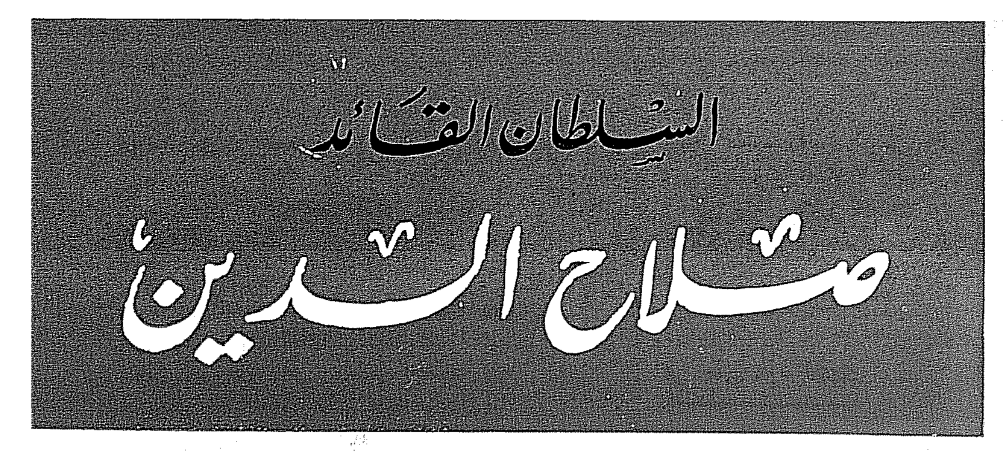
الى مكة مرة ثانية

نهض عليه الصلاة والسلام راكبا الى مكة فى يوم السبت وطاف طواف الافاضة . قبل الظهر وشرب من ماء زمزم ، وقد اختلف بعض الرواة فيما رووه من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بمكة أو بمنى.

((البقية ص ٨٧))

(١) فى هذه الاثناء نزل عليه الوحى فتلاه ، فاذا هى : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا)

فلما سمعها أبو بكر ، بكى . فقد أحس أن النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد تمت رسالته ، قد دنا يومه الذى يلقى فيه ربه .



هل مثل قلب صلاح الدين يرعانا ... وهل يشاد لنا مجد كما كانا
فقد ضمخ الارض من ذكر له عبق ... وأترع النفس من ذكراه تحنانا
روض من الطيب ما ينفك طيبه ... طود من المجد ما ينفك نشوانا
حدث عن الدين والأخلاق فى بطل ... تجده للحق والاحسان عنوانا
تجده للوحدة العصماء ذا دأب ... قد لف آمالنا الكبرى فأحيانا
وسار يقدمنا صدقا وتضحية ... وصال يكسبنا نصرا وأوطانا
كأن ايمانه قد هز تربتنا ... فأنبتت عزة تسمو وفرسانا
وهز تلك السيوف البيض هزتها ... فرحت تبصرها موجا ونيرانا
ورحت تلقى الأعادى وهى صاغرة ... ماذا غذا السيف حتى صار فرقانا
لقد حباه صلاح الدين عزته ... فعاف عيشا يريه الذل ثعبانا
وأبصر الجنة العلياء دانية ... تحت السيوف ، فهب السيف تحنانا
وعلم الغرب أن العرب ما خنعوا ... وأن للسيف يوم الفصل سلطانا
سل الكتائب والاسلام عن بطل ... صان الديار فذاق الغرب خسرانا
وأيقن الكفر أن الحق قلعتنا ... والدار مدفن من قد جاء عدوانا

* * *

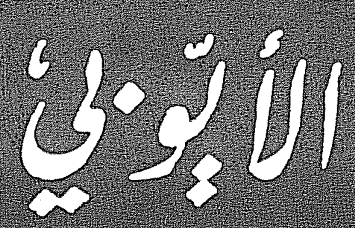
يا قائدا بطلا لم يغر همته ... ملك اذا جل أو نصر اذا حانا
يظل يشحذها الايمان متقدا ... حتى ترى واقعا ما كان حسبانا
تركت (حطين) تروى الدهر قصتها ... بين البطولة والافرنج أعوانا
وترفع الرأس بالنصر الذى ضربت ... جنوده كل علج جاء يلقانا
ورحت تنقذ قدسا من مذلتها ... والشرك مستبسل يرميك ظمآنا
حتى فتحت فطهرت البلاد بما ... رأته بأسا وايمانا وعرفانا
فصنت دينا وصنت الضاد قاطبة ... وصنت حقا وأخلاقا وأوطانا
وصنت مولد عيسى ، عن مراوغة ... وعن ظلام وافك تاه طغيانا

* * *

ومات بعد صلاح الدين فاضطربت ... قلوب قوم وهز الموت أركانا
وانهلت الدمعة الحرى على بطل ... ما لان للخطب فى يوم ولا هانا
وشيع القائد السلطان لا نشب ... ولا غرور ، ووارى الدين(١)سلطانا

---

(١) لم يخلف السلطان صلاح الدين بن يوسف بن أيوب الا دينارا وواحدا وأربعين درهما . وشيعت بالدين جنازة قاهر الصليبيين .



الأيوبي

للأستاذ: أحمد مظهر العظمة
دمشق

وأصبح القبر مهوى الزائرين على ... مر السنين ومهوى الناس ألوانا
مقدرين الذى كانت بطولته ... تسمو عن الفتك أخلاقا وايمانا

* * *

هدهدت قلبى وقد جاشت غواربه ... ولم أجد لهموم القلب سلوانا
كانت تذل لنا الدنيا وقادتها ... وأصبح الذل بعد العز يغشانا
بالأمس ضاعت بلاد ذل" قادتها ... وشردوا وتنادوا يا لقحطانا
لم يجدهم جارهم ، كلا ولا رجعت ... بيد لهم حجرا يبكى وأغصانا
تلكم فلسطين لا أهل ولا وطن ... فى شطر صهيون حيث المكر أعيانا
ويوم حطين لم يخذل فوارسنا ... والغرب مقتحم شيبا وشبانا
والقائد البطل المقدام يقدمنا ... وهو الصلاح اذا لاقيت عدوانا
ووحدة الصف دين خلف قائدها ... يريك برهانا سرا واعلانا
على الهدى والتقى والصدق سيرته ... لا يشترى برضاء الله أوثانا
تاج من النصر لا كبر ولا سفه ... كذلك الملك اما كنت سلطانا
والرأس ان لم يكن رأسا لصاحبه ... ألقى (الأوامر) قربانا وبهتانا
والسيف ان لم يكن فى كف صاحبه ... بأسا ونفسا أراه الوهم فرسانا
واليوم لم نكترث بالشر يدهمنا ... ولم نبال باسرائيل تغشانا
واللهو مستحوذ والشر مستعر ... كأننا لم نكن فى الحرب بركانا
ومنذ عامين أصلتنا اليهود أذى ... لم نستطع ردها والخطب وافانا
جاست خلال ديار أرضها حرم ... والقدس مسرى رسول الله ، عدوانا
وكانت النكسة الكبرى على عرب ... لم يعرفوا ما أعد البغى تلقانا
وكان أن ضاقت الدنيا بأعيننا ... وفاجع الرزء أعيانا فأعمانا
والآن نأمل أن نحظى بموطننا ... حرا أبيا شجاعا مثلما كانا
وكل رأس صلاح الدين ، غايته ... طرد العدا وبناء المجد مزدانا
يا قوم هلا أطعنا من يذكرنا ... ونحن فى التيه ، اخوانا وجيرانا
أم المنابر لم تبلغ دعاوتها ... هذى القلوب ؟ ولا الآلام آذانا
أنؤثر التيه ، لا درب ، ولا أمل ... ولا وميض ، ونبقى الدهر عميانا
أم نؤثر الأمل المنشود تبصرة ... فنستعيد منار الحق قرآنا

صيحة فدائي

للأستاذ : احمد محمد الصديق

لك يا شمس من دمائى وشاح ... ومن الجرح قد يهل الصباح
صيحة الحرب والفداء نشيدى ... ألفته منى الربا والبطاح
لعلعات الرصاص ترنيمة الثأر ... المدوى تناقلتها الرياح
وروتها الانباء حتى استحالت ... كالأساطير ، وهى حق صراح
صحوة المارد الذى نام دهرا ... بعثت .. فهى ثورة وجماح
غضب الفارس المجنح يحتد ... فدنياه أدرع ورماح
والعدو اللئيم ينفث كالأفـ ... ـعى .. ويعوى .. وما يفيد النباح
يا تراثنا الحبيب هجت شجونى ... ودعانى أريجك الفواح
موئل الطهر والقداسة ماذا ؟! ... أين فيك التقى وأين الصلاح ؟
كيف تشكو فيك المساجد هجرا ؟ ... كيف تكسو سماءك الأتراح ؟
الجراحات تستغيث وتشدو ... ملء سمع الوجود : قم يا صلاح
تسأل القدس عن لوائك والأعـ ... ـداء كثر .. بكل شىء أطاحوا
هل نرى سيفك المضىء وقد أفضـ ... ـى الينا شعاعه اللماح
طهر الأرض يا ابن أيوب فالأرجـ ... ـاس فيض .. والكفر . .كفر بواح
أبدا لم تلذ للغاصب الملعـ ... ـون كأس ولن تعتق راح
كل غرس لنا جناه وان طا ... ل انتظار أو عربد السفاح
تلك أخبارنا .. فمن شاء فليعـ ... ـلم .. نفوس تهوى العلا وطماح
البطولات بعض آياتها الكبـ ... ـرى وفيها نحو الخلود وانفتاح
من أراد الحياة حرا كريما ... فعلى دربها الهدى والفلاح
لو ترانا ونحن عصبة حق ... نتحدى .. وايلنا أشباح
والظلام الرهيب ينبع هولا ... ماحقا .. حيثما اتجهت متاح
كل شىء من حولنا يرهف السـ ... ـمع .. والصمت موجة تنداح
تزرع الموت والدمار .. نبث ... الرعب بثا ... وما علينا جناح

مهداة الى ابطال الفداء الميامين ، الذين يحملون ارواحهم على راحاتهم ، ويلقون بها فى مهاوى الردى

مدفعى فى يدى يعانق روحى ... وسلاح الايمان .. نعم السلاح
نحو ارضى وجهت ركبى وأشوا ... قى شراع .. وخافقى الملاح
هينمات النسيم تخفق فى السـ ... ـفح .. ومن دونه الحقول الفساح
وغصون الزيتون تحنو علينا ... كان فى حضنها لنا مستراح
ونراها بعد الفراق وقد غا ... مت رؤاها .. واطفىء المصباح
وتولت عنها العصافير حتى ... لا غناء .. لا ضحكة .. لا صداح
أهلها .. أهلها الكرام قطيع ... فى فلاة يغدى به ويراح
مزق فى الخيام تعدو عليها ... كل ريح .. وللثكالى نواح
واليتامى وراء كل شهيد ... ورثو هديه .. فلبوا .. وصاحوا
هم على دربه يد تصنع الفجـ ... ـر .. وروح فى القيد لا ترتاح
وعلى كل خيمة خطت المأ ... ساة سطرا .. فى نصه الايضاح
ها هنا الظلم كالح الوجه كالكا ... بوس تشقى من تحته الأرواح ...
فهى بين الخيام تغلى .. وللبر ... كان عصف .. وللهيب اكتساح
ورويدا .. فالنصر بات وشيكا ... فى يدينا لشمسه المفتاح
ليت شعرى .. هل نحن كالقدر المحتوم بتنا .. وكالردى نجتاح ؟
فى انتفاض .. تصميمة أذهل الأعـ ... ـداء طرا .. وحار فيه الكفاح
كل شبر لنا كمين .. وزحف ... وانتفاض ... وغارة ملحاح
ليس فينا الا أخو الحرب ان دا ... رت رحاها واشتد فيها النطاح
لا سلام .. وشعبنا نهب عدوا ... ن لئيم .. وحقنا مستباح
كل حل لا تفصل النار فيه ... ليس حلا .. ولتشهدى يا ساح
لا نبالى .. وان تلاطم بحر ... من دمانا .. وهيض منا الجناح
لا نبالى .. ضريبة النصر حتم ... ومع البذل والثبات النجاح
فاعزفى يا بنادق الثار حتى ... يتجلى فى أرضنا الاصباح

من أعلام الأندلس :

أبو الحجّاج يوسف الأول ابن الأحمر

سلطان غرناطة

٧٣٣-٧٥٥ هـ / ١٣٣٣-١٣٥٤م

نسبه وولادته :

هو سابع ملوك بنى الاحمر « يوسف بن اسماعيل بن فرج بن اسماعيل بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر بن قيس الخزرجي الانصارى» وهو بهذا يتصل نسبه بأمير الخزرج (سعد بن عبادة) من سادة الانصار بالمدينة .

يكنى السلطان بـ « أبى الحجاج » كما يعرف بـ « أمير المسلمين » وهو اللقب الملكى الذى غلب على سلاطين بنى نصر ، منذ اعتلى عرش غرناطة مؤسس دولتهم محمد الاول ابن الاحمر (٦٣٥ — ٦٧١ هـ / ١٢٣٨ — ١٢٧٢ م) ، كما عرف بـ (الغالب بالله) .

ولد أبو الحجاج بحمراء غرناطة فى الثامن والعشرين من ربيع الثانى عام ٧١٨ هجرية ٢٨ يونيو ١٣١٨ م ، أمه تدعى « بهارا النصرانية » حظية والده السلطان أبى الوليد اسماعيل ، كان قد استولدها ، فأنجبت « يوسف » هذا ، أما اخوته محمد ، وفرج ، وفاطمة ، ومريم فمن الحظية « علوة » ، وأما اسماعيل فمن الحظية « قمر » .

صـــفاته :

يجمل لنا صفات أبى الحجاج معاصره ووزيره لسان الدين ابن الخطيب ،

« كان ملكا فنانا شاعرا »
(انشأ جامعة غرناطة ، لتستعيد ماضى لدتها جامعة قرطبة)
(ودانت له الحمراء بأفخم وأبهى منشئاتها)

للدكتور : محمد كمال شبانة

مدرس التاريخ الاسلامى
بكلية دار العلوم ــ جامعة القاهرة

فيذكر أنه : « كان أبيض أزهر ، أيدا ، مليح القد ، جميل الصفات ، براق الثنايا ، انجل ، رجل الشعر أسوده ، كث اللحية ، وسيما ، عذب الكلام ، عظيم الحلاوة ، يفضل الناس يحسن المرأى وجمال الهيئة ، كما يفضلهم مقاما ورتبــة ، وافر العقل ، كثير الهيبة ، الى ثقوب الذهن ، وبعد الغور ، والتفطن للمعاريض والتبريز فى كثير من الصنائع العملية ، مائلا الى الهدنة ، مزجيا للأمور ، كلفا بالمبانى والاثواب ، جماعة للحلى والذخيرة مستميلا لمعاصريه من الملوك (١) .

كفــالته :

ولد أبو الحجاج بعد ولاية ابيه الحكم بنحو خمس سنوات ، وتوفى والده فى رجب ٧٢٥ هـ ــ يونية ١٣٥٢ م ، ولم يكن الابن قد تجاوز بعد سبع سنوات ، فكفلته جدته أم أبيه السيدة الحرة الجليلة « فاطمة بنت أمير المسلمين أبى عبد الله الغالب بالله محمد الثالث » ، وكانت تتوفر على مزيد من الخبرة لطول تجاربها فى القصر النصرى ، فهى « واسطة العقد ، وفخر الحرم ، البعيدة الشأو فى العز والحرمة وصلة الرحم ، وذكر التراث ، واتصلت حياتها ملتمسة الرأى ، برنامجا للفوائد ، تاريخا للأنساب(٢) ، فاستقى حفيدها أبو الحجاج لبان خبرتها ، وتزود بالجم من حكمتها ، لا سيما وأنها بقيت الى جانبه فترة ليست بالقصيرة ، فقد عاصرته طفلا يحبو ، ثم فتى يافعا ، ثم سلطانا كبيرا ، حتى توفيت فى عنفوان شبابه عام ٧٤٩ هـ ــ ١٣٤٨ م ، مواصلا برها ، ملتمســا دعاءها ، مستفيدا بتجربتها وتاريخها ، مباشرا مواراتها بمقبرة الجنان ، داخل الحمراء ، سحر يوم الاحــد الســابع لذى الحجــة ٧٤٩ هـ (٣) وكان عمرها يومئــذ قد نيف على التسعين عاما .

(١) راجع مقدمة مخطوطة القاضى النبــاهى « نزهة البصــائر » الاسكوريال ١٦٥٣ ، وكذا مخطوطة ابن الخطيب « كناسة الدكان » الاسكوريال ١٧١٢ .

(٢) الاحاطة ج ١ ص ٢٢١ .

(٣) نفس المصدر ص ٢٢٢ .

تربيته وثقافته :

كان السلطان أبو الوليد اسماعيل والد أبى الحجاج قد وكل تربية أبنائه الى نخبة ممتازة من رجال العلم والرأى والادارة ، أشرفوا على هؤلاء الامراء فى حل وترحال ، تثقيفا وتدريبا ، كما تعهدوهم صقلا للمواهب وتنمية للملكات ، وكان أن برز لنا أبو الحجاج من بين اخوته الملك الفنان الشاعر ، والسياسى الهادىء الوقور ، وانعكست توجيهات مؤدبيه على ميوله العلمية على ما خلعه على العمارة الاندلسية من نفسيته الشاعرة من جانب آخر ، وماأضفاه على آثار أسلافه ، من ذوق فنى له روعته وسحره وجماله ، كذلك حبــه للعلم وتقريبه العلماء ، وكلفه بالآداب والفنون ، الذى تجلى فيما قام به من منشآت ثقافية ، ورعاية للقائمين بالامر فى هذا الميدان .

وهكذا تأثر أبو الحجاج بخلاصة من المربين العلماء ، والمحنكين من رجالات السياسة ، أمثال الحاجب أبى النعيم رضوان ، والشيخ الرئيس أبى الحسن على بن الجياب ، والمؤرخ لسان الدين ابن الخطيب وغيرهم ممن حفل بهم بلاط والده ثم بلاط شقيقه السلطان محمد الرابع .

اعتلاؤه عرش غرناطة :

تقلد شئون المملكة فى يوم الاربعاء ١٣ ذى الحجة ٧٣٣ هـ (الموافق ٢٥ أغسطس ١٣٣٣ م) ولم تكن سنه قد تجاوزت ١٦ عاما .

انعكاسات ثقافة السلطان :

كان لبيئة السلطان أثر الاعداد والتوجيه ، ثم الاضطلاع بمهام المنصب الخطير ، وقد كان والده اسماعيل ذا شخصية دينية محافظة ، حريصا على اقامة الحدود وفق الشريعة الاسلامية ، ففى عهده خصوصا حرمت المسكرات ، وضيق الخناق على الفساد الاخلاقى ، وحرم جلوس الفتيات فى ولائم الرجال[١] ، وقد كان جديرا بالوالد أن يحرص على تنشئة أولاده كذلك ، حرصا على مستوى سلالة بيت الملك ، وحفاظا عليهم من مؤثرات تتنافى وشرف التقاليد الملوكية .

وفى ضوء ما أسلفناه نستطيع أن نتحدث عن ثقافة أبى الحجاج العامة ، فنقول : انه كان شخصية فنانة ، تتمتع بروح شاعرية عمل ما استطاع فى سبيل حماية العلوم والآداب والفنون ، وربما أجمل ابن الخطيب بعض هذه الخلال فى قوله :

«كان أبو الحجاج من جلة الملوك فضلا وعقلا واعتدالا»[٢] ، وقد تجلى هذا الاتجاه الثقافى عند السلطان فى جوانب هامة من حياته ، نذكر منها :

---

(١) الاحاطة ج ١ ص ٣٩٥ — ٤٠١ ، واللمحة البدرية ص ٧١ — ٧٤ .

(٢) أعمال الاعلام ص ٣٠٤ .

١ ـ الجانب الفنى :

ويتمثل فيما قام بتشييده فى مجال المعمار الهندسى ، وخاصة ما أضفاه على أجنحة الحمراء ، وما أضافه الى هذا القصر ، مثل باب الشريعة ، وبهو السفراء ، والحمامات السلطانية ، مما لا يزال ـ حتى يومنا هذا ـ شـاهد صدق على الروح السامية ، المنطلقة فى آفاق الجمال .. لمـا انفرد به هذا القصر الخالد من زخارف خطية ونقوش ذات هندسة ابداعية ، فى سحر أخاذ وجمال فتان ..

٢ ـ الجانب العلمى :

ويتضح من هذا تشجيع أبى الحجاج للحركة العلمية وتشييده المدارس الثقافية بالمملكة ، وفى مقدمتها جامعة غرناطة أو « المدرسة اليوسفية » ، وذلك على يد حاجبه أبى النعيم رضوان النصرى ، ثم ما كان من رصد الاوقاف المغلة عليها ، رغبة منه فى اعلاء شأنها ، ومساعدة قصادها من العلماء والطلاب على أن يردوا منهل العلم فى يسر ورخاء ، حتى كانت جامعة غرناطة تحاول استعادة مكانة جامعة قرطبة .

كذلك رأينا هذا الملك الاديب يفسح المجال فى بلاطه لجهابذة العلم والادب ويأخذ بيدهم الى منصب رئاسة الديوان أو الوزارة ، مقربا اياهم فى مجلسه ، باذلا الخلع والمنح ـ على المجودين منهم ـ فى شتى المناسبات ، حتى لهجت السنتهم بذكره ، وتناولته اقلامهم بالحمد والثناء (١) .

وبالجملة ، فقد بلغت الحركة الفكرية والادبية ذروة ازدهارها فى مملكة غرناطة على عصر السلطان أبى الحجاج يوسف الاول .

لقد برز من اقطاب الكتابة والشعر فى هذه الفترة عدد جم ، أمثال ابن الخطيب وابن الجياب ، وابن زرك ، وابن الحكيم الرندى ، وابن خاتمة الانصارى ومن اليهم ..

واذا كانت الحركة الفكرية الادبية بالاندلس خلال المائتين والخمسين عاما التى عاشتها مملكة غرناطة قد مرت بأطوار ثلاثة : طور التكوين ، وطور النضج وطور الانحلال ، فان عصر السلطان أبى الحجاج يمثل الطور الثانى ، أشرق ابان عصر شقيقه من قبله السلطان محمد الرابع ، وبقى متلألئا الى عصر ابنه ـ من بعده ـ السلطان الغنى بالله محمد الخامس .

٣ ـ الجانب الأدبى :

يعتبر يوسف الاول رائد هذه النهضة الادبية التى سادت الاندلس يومئذ ، فقد رعى روادها من الادباء والشعراء والكتاب ، كما كانت روحه الشاعرية تفيض بين حين وحين ، بما يوحيه الخاطر ، استجابة لموقف يستدعى القول ، أو تلبية لذات نفسه والهامها ..

بيد أنه للأسف لم ينته الينا حتى اليوم شىء من شعر هذا السلطان ، بالرغم مما عرف به فى هذا الميدان ، فقد تحدث عن أبى الحجاج كل من وزيره ابن الخطيب فى بعض مؤلفاته الادبية ، ثم المؤرخ ابن حجر العسقلانى ، فى كتابه

---

(١) اللمحة البدرية ص ١٠٠ .

« الدرر الكامنة ، فى أعيان المائة الثامنة » ، وأفاض كلا الكاتبين فى التنويه بأبى الحجاج كشاعر برز فى النصف الاول من القرن الثامن الهجرى .
هذا ، ونضيف أن القاضى شهاب الدين ابن فضل الاندلسى قد قال عن ابى الحجاج : « ان له يدا فى الموشحات » (١) ذلك اللون الشعرى الخاص ، الذى لم يقتصر انتشاره بين المحترفين من أهل الاندلس فحسب ، بل تعداه الى ملوكهم وأمرائهم فتعاطوه أيضا ، حتى طبقت للأندلس فى هذا شهرة فاقت شهرة المشارقة .

علاقات ابى الحجاج بكل من الاسبان والمغاربة :

لم تكن علاقة غرناطة بالممالك النصرانية الاسبانية تتسم بالصفاء عموما ، تبعا لمخطط النصارى فى حروب الاسترداد le Recanguista المعروفة ، وكان على مملكة قشتالة يومئذ « الفونسو الحادى عشر » الذى عول على الاجهاز على آخر معاقل المسلمين ، أملا منه أن تسقط غرناطة نفسها على يديه ، فيتوج تلك الحروب التى بدأها أسلافه مع العرب الفاتحين ، وعرف يوسف الاول نوايا معاصره القشتالى ، فاستنجد ــ كسابقيه من أمراء الاندلس ــ بالمغرب ، الذى كان يحكمه وقتئذ السلطان أبو الحسن على المرينى (٦٩٧ ــ ٧٥٢ هـ) فأيده بجيش عظيم ، عقد عليه لولده الامير ابى ملك ، وكاد يبلغ الامير ذروة انتصاراته فى أراضى النصارى ، لولا أن هؤلاء قد أعدوا كمينا للأمير ، وفاجأوه ، فقضوا عليه ، وعلى كثير من حراسه ، وعادت بقايا الجيش الى مواقعها الاندلسية ، ولكن ما كاد يبلغ السلطان أبو الحسن مأساة ولده حتى بادر بارسال جيش أعظم وأقوى ، وقيض له الظفر على الجيوش الاسبانية ، ولكن لم تكن المعركة هذه حدا فاصلا بين الفريقين ، اذ ما لبث الاسبان أن خاضوا ضد المغاربة والاندلسيين بعدئذ المعركة العظمى (وقعة طريف) ٧ جمادى الآخرة ٧٤١ هـ (٣٠ اكتوبر عام ١٣٤٠ م) تلك التى يؤرخ بها الاسبان لانتصاراتهم فى حروب الاسترداد ، فقد أحرزوا فيها انتصارا ساحقا ، بفضل خدعة حربية محكمة سقطت على اثرها كل من طريف ثم الجزيرة الخضراء وقلعة بنى سعيد ، واستولى الاسبان عقب المعركة على علم المقاتلين المغاربة ، وما زال حتى اليوم فى كنيسة طليطلة العظمى ، ونجا السلطان أبو الحسن بأعجوبة ، ولحق أبو الحجاج بغرناطة على رأس فلول الجيش الاندلسى .
وبذلك انكسرت شوكة بنى مرين تجاه الاسبان اثر هذه المعركة ، ولم يتسن للمغرب بعدها أن يعود الى الحرب فى أرض الجهاد مرة أخرى ، كما أن سلطان غرناطة ــ من جهته ــ آثر بعدئذ مهادنة جيرانه النصارى ، فلم تقع بينه وبينهم وقائع حربية تذكر ، وذلك حتى نهاية حكمه ووفاته .

اصلاحاته :

يشيد المؤرخون المعاصرون بعصر أبى الحجاج ، فقد ابتنى المصانع فى كثير من مدن الاندلس ، كان بعضها قائما للصناعات المحلية ، والبعض للاحتياجات

(١) القلقشندى ، صبح الاعشى ج ٥ ص ١٦٠ .

الحربية . ففى المدينة (المرية) ذات المرفأ الحربى الهام كانت تقوم « دار الصناعة» هذا الى جانب صناعة الحرير التى اشتهرت بها المدينة ، بالاضافة الى صناعة الحديد والنحاس والزجاج ، لما عرفت به أحوازها من وفرة المعادن والخامات .

كذلك اشتهرت مدينة مالقة بصناعة الفخار المذهب العجيب ، والثياب الموشاة بالخيوط الذهبية ، وتصدر من هذا كله كميات وافرة الى الخارج ، حسبما يروى ابن بطوطة ذلك فى رحلته ، حيث زار الاندلس على عصر هذا السلطان .

هذا ، وقد قام يوسف الاول بانشاء بعض القلاع والحصون ، واخصها ، « حصن الببول » قرب مدينة بسطة ، كما جدد ما كان قائما منها ، كحصن جبل فارة بمالقة المنحدر من أعلى الجبل على البحر المتوسط ، واليه يرجع الفضل فى تشييده السور الاعظم حول ربض البيازين ، الذى ما تزال بقية منه قائمة حتى اليوم خارج غرناطة ، ولا سيما فى الجهة الشمالية الغربيــة ، تحصينا للعاصمة وسدا دفاعيا عنها .

وينوه ابن الخطيب مؤرخ العصر بتلك المنشئات الحربية فيقول : « .. وبنى — يقصد أبا الحجاج — من الابراج المنيعة فى مثالم الثغور وروابى مطالعهــا المنذرة ، ما ينيف على اربعين برجا ، فهى ماثلة كالنجوم ، ما بين البحر الشرقى — الابيض المتوسط — من ثغر البيرة الى الاحواز الغربية » (١) .

أما الزراعة والتجارة فى عصر يوسف فقد بلغت شأوا عظيما ، وكانت لغرناطة علاقات تجارية بكثير من الدول ، وفى كتاب ابن الخطيب (معيار الاختيار فى وصف المعاهد والديار) اشادة بالرخاء الذى عم الاندلس على عهد هــذا الملك خاصة .

ماســاته :

قتل السلطان ابو الحجاج يوم العيد فى مسجد الحمراء بيد مخبول مجهول القدر والصفة ، عاجله بطعنة نافذة ، بعد أن هجم عليه وهو ساجد ، أثناء أدائه سنة عيد الفطر من عام ٧٥٥ هـ — ١٩ أكتوبر ١٣٥٤ م ولم يتجاوز عمره السابعة والثلاثين الا بأشهر قلائل ، رحمه الله .

أولاده :

كان له من الابناء محمد وعائشة من حظيته بثينة ، واسماعيل وقيس وفاطمة ومؤمنة وخديجة وشمس وزينب من حظيته مريم ، وأكبر الذكور محمد ، يليه اسماعيل وأصغرهم قيس .

وقد تولى الملك من الابناء — فور مصرع أبى الحجاج — كبيرهم محمــد الخامس المكنى بأبى عبد الله ، والمعروف بالغنى بالله ، وذلك حتى عام ٧٦٠ هـ ١٣٥٩ م ثم ثار عليه أخوه اسماعيل الثانى ، الذى نودى به ملكا حتى عام ٧٦٢ هـ ١٣٦١ م حيث استرد محمد الخامس ملكه من جديد ، وبقى متربعا على العرش حتى توفى عام ٩٧٣ هـ — ١٣٩٢ م .

أما قيس — أصغر أولاد أبى الحجاج — فقد مات مقتولا .

---

(١) الاحاطة ج ١ ص ٥١٧ (عنان) .

الصهيونية العالمية

ومأساة فلسطين العربية

للأستاذ : وفيق القصار . بيروت

مأساة فلسطين العربية كارثة انسانية مروعة دامية قل ان شهد التاريخ البشرى مثيلا لها فى عصوره المظلمة فكيف بها فى هذا العصر الذى يتباهى به قادته وساسته وزعماؤه ومفكروه بانه عصر المدنية والحضارة المتميز بانتصار الحق على الباطل ، والحرية على الظلم ، والعلم على الجهل ، والرخاء على البؤس ، والاخاء على العداء ، والسلام والامان على الحرب والعدوان ، عصر الشرائع الانسانية والعدالة الاجتماعية .

وليست فلسطين العربية المناضلة الا ضحية من ضحايا الصهيونية العالمية ومؤامراتها الرامية الى السيطرة المالية والسياسية وتواطئها مع الدول الاستعمارية ذات المطامع والمصالح الاقتصادية والاستراتيجية فى البلدان العربية الواقعة فى منطقة الشرق الاوسط بالنظر الى مواقعها الجغرافية ومواردها الطبيعية الغنية ، واخصها النفط الذى هو العصب الحساس للصناعات المنتشرة فى البلدان الغربية . فكان من الطبيعى ان تتحد الصهيونية العالمية ودول الاستعمار الغربية فى تآمرها على البلاد العربية لبلوغ اهدافها المشتركة عن طريق انشاء دولة يهودية فى فلسطين العربيه تكون بمثابة حربة

مسمومة مصوبة الى قلب الامة العربيــة فى منطقة الشرق الاوسط للســيطرة عليها فى سبيل استغلال خيراتها والاحتفاظ بمراكز اســتراتيجية فيها ، وكان من نتائج ذلك التآمر الصهيونى الاستعمارى البغيض اغتصاب ارض فلسطين العربية وتشريد سكانها العرب ، أصحاب الحق فيها منذ مئات السنين واقتلاعهم من وطنهم الغالى الذى هو جزء لا يتجزأ من العالم العربى .

وحرى بنا ان نستعرض فى هذا البحث الموجز أصل المشكلة الفلسطينية والبواعث التى نشأت عنها والمراحل التى مرت بها والنكبــات التى تخللتهــا والعواقب التى اسفرت عنها ، وما ينبغى للعرب خاصة وللمسلمين عامة التجند له ، والعمل عليه للخروج بالمشكلة الفلسطينية من المأزق الخطير الذى وصلت اليه .

المرحلة الأولى
نشاة الحركة الصهيونية وفكرة الوطن القومى اليهودى

الصهيونية حركة بدأت فى القرن الثامن عشر اثر انتشار مذهب القوميات الذى اجتاح أوروبا فى ذاك الحين ، وهو مذهب يرتكز على حق الجماعــات ذات الاصل الواحد أو المرتبطة برباط اللغة والعادات والثقافة الواحــدة أن تؤلف أمة مستقلة عن غيرها وان تحكم نفسها بنفسها وتتحرر من سيطرة الامم التابعة لها .

ولقد تأثر بهذا المذهب قسم من اليهود اخذ يدعو الى القومية اليهوديــة المستمدة لا من الاصل التاريخي وانما من الديانة اليهودية التى تقوم على العنصرية وتجعل من اليهود أمة يهودية تتمتع بحقوق القومية الطبيعية ومنها الحق فى اقامة دولة يهودية .

وقد بدأت الدعوة الى هذه الفكرة فى القرن التاسع عشر من قبل جماعة من اليهود القاطنين احدى مقاطعات روسيا من ســلالة احدى قبائل الاورال « الكزار » KASARS الذين اعتنقوا الديانة اليهودية فى القرن العاشر للميلاد وانتشروا فى المناطق الأوروبية وعرفوا باسم « اسكنازيم » Eshkinazim وهم من الجماعات اليهودية التى لا تمت بأية صلة الى يهود الشرق الاوسط الذين هم من العرق السامى المعروفين باسم « سيفراديم » Sepharadim

ففى عام ١٨٨٤ عقد جماعة من يهود الاسكنازيم مؤتمرا لهم فى مدينــة بنسك بروسيا اتخذوا شعارا له « اصدقاء صهيون » اســتهدف الدعوة الى اقامة وطن قومى لهم فى فلسطين التى يعتبرها اليهود ارض الميعاد . وتحقيقا لهذا الغرض بدأت الحركة الصهيونية عملها ، وكان من ابرز زعماء هذه الحركة وقادتها تيودور هرتزل الذى بشر باقامة دولة يهودية تجمع شتات اليهود من انحاء العالم ، وتؤلف دولة مستقلة قوامها العنصرية الدينية اليهودية . وقد تجند هرتزل لهذه الفكرة وعمل على نشرها فى مؤلفاته وحث على تنفيذها فى المؤتمرات الصهيونية واشهرها فى عهده المؤتمر الصهيونى الذى انعقد فى مدينــة بال بسويسرا عام ١٨٩٧ ، وتبنى فيها المؤتمر فكرة اقامة الدولة اليهودية .

وفى ذلك المؤتمر التاريخى للصهيونية طرح هرتزل الاقتراح الذى عرضته بريطانيا على اليهود بان تقتطعهــم جزءا من أرض أوغندا التى كانت فى ذاك العهد احدى مستعمراتها فى القارة الافريقية ، وكان هرتزل من محبذى هذا

الاقتراح ، غير ان ويزمان أحد زعماء الصهيونية البارزين عارضه بشدة ودعا الى التمسك بالوطن القومى فى فلسطين أرض الاجداد ، والى تحين الفرص السانحة لتحقيق هذا الحلم الذى يبدو للناقدين وقتئذ انه بعيد المنال .

ولقد بذل الزعيم الصهيونى مؤسس الصهيونية هرتزل وغيره من زعمائها البارزين المحاولات المتعددة والمساعى الحثيثة لدى السلطنة العثمانية التى كانت فلسطين وسائر الاقطار العربية جزءا من مملكتها وخاضعة لسيادتها ، لاقتطاعهم رقعة من الاراضى الفلسطينية لاقامة وطن قومى يهودى فيها ، وتوسلوا لبلوغ هذا الهدف بجميع وسائل الاغراء بالمال وطرق التأثير بالوساطات الدبلوماسية ومنها وساطة قيصر المانيا لدى زيارته للسلطنة العثمانية والديار المقدسة فى فلسطين ، ورغم الظروف المالية العصيبة التى كانت السلطنة العثمانية فى ذاك الحين تعانى منها ، فقد أبت حكومة الباب العالى الاستسلام لهذه المساومة ، ورفضت عروض الاغراء والوساطات السياسية ، وقضت على محاولات الصهاينة بالفشل .

ولكن الصهاينة اليهود استطاعوا الحصول من الحكومة العثمانية على الترخيص بانشاء مستعمرات زراعية يهودية فى الاراضى الفلسطينية . وهكذا بدأ التسلل الصهيونى الى فلسطين بمساعدة المنظمات اليهودية المالية والزراعية، واخصها المصرف اليهودى للمستعمرات «١٨٩٨» ، ولجنة الاستعمار «١٨٩٨» والصندوق القومى « ١٩٠١ » ، ومكتب فلسطين « ١٩٠٨ » وشركة تطوير أراضى فلسطين « ١٩٠٨ » واخذت المستعمرات اليهودية تمتد وتزدهر بتوسيع أراضيها وتحسين أوضاعها والتغلغل فى الاوساط العربية ممهدة السبيل الى ترسيخ اقدامها واحكام الطوق لمشروع الوطن القومى اليهودى .

وبينما كانت الاقطار العربية ترزح تحت الحكم العثمانى متخلفة ومفككة الاوصال ، كانت الحركة الصهيونية ناشطة فى البلدان الاوروبية حائزة لمراكز مالية وسياسية تستطيع بواسطتها الضغط والتأثير على حكومات تلك البلدان لتحقيق غايتها بانشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين .

ولقد كانت الحرب العالمية الاولى التى نشبت عام ١٩١٤ وخاضت السلطنة العثمانية غمارها الى جانب الامبراطوريتين الالمانية والنمساوية المجرية والمملكة البلغارية ، من بواعث الامل فى نفوس زعماء اليهود لبلوغ الهدف الذى كانوا يعملون جاهدين فى سبيله ، وذلك بفتح الطريق أمامهم الى فلسطين بواسطة انتصار الحلفاء على اعدائهم واقتسامهم لاراضى السلطنة العثمانية التى كانت الدول الغربية تلقبها « بالرجل المريض » المتوقع موته بين الحين والآخر وافتتاح تركته المشتملة على الاقطار العربية ومن جملتها فلسطين .

وكانت الاقطار العربية فى ظل الحكم العثمانى مهضومة الحقوق وكان سكانها العرب يئنون من وطأة ذلك الحكم ويسعون بدورهم الى الحرية والاستقلال وهم احفاد الامة العربية المجيدة التى بسطت سيطرتها ونفوذها من المشرق الى المغرب ونشرت لواء الحضارة فى جميع الاصقاع التى فتحتها وتميز حكمها فيها

بالعدل والتسامح وحسن المعاملة لجميع رعاياها على الســــواء ، باعتراف المنصفين من مفكرى الغرب من ان التاريخ ما عرف فاتحا اعدل من العرب .

وكانت رياح القومية العربية قد بدات تهب وتفعل فعلها وتبعث فى نفوس العــرب النزعة الى الاســتقلال والتخلص من الحــكم العثمــانى ، وكان من اثر تلك اليقظـــة بعد الســـبات العميق وتأثير الوعـــود التى اغدقها الحلفاء على بعض زعماء العرب بالمســاعدة على الانفصـــال والاستقلال ، ان انحاز العرب الى جانب بريطانيا وحلفائها وثاروا على الحكومة العثمانية أملا فى تحقيق أمانيهم القومية .

وفيما كانت بريطانيا تعد العرب بالاستقلال ، كانت من جهة اخرى تتفاوض مع حليفتيها فرنسا وروسيا فى اقتسام مناطق النفوذ من الاراضى العثمانيـــة وقد تم ابرام معاهدة بين بريطانيا وفرنسا عام ١٩١٦ تولى المفاوضة بشأنها واعداد صيغتها المندوب البريطانى مارك ســايكس والمندوب الفرنسى جورج بيكو ، وحددت تلك المعاهدة التى سميت باسم المندوبين المذكورين ، « سايكس بيكو » الاقطار العربية المقرر ادخالها تحت سيطرة ونفوذ كل منهما ، كما تقرر بموجبها اقامة ادارة دولية خاصة فى معظم الاراضى الفلسطينية بسبب وجود الاماكن المقدسة فيها . وقد بقيت المعاهدة المذكورة سرية بين الدولتين المذكورتين حتى انتهاء الحرب العالمية الأولى .

وكانت بريطانيا قد سبق لها أن اعطت وعدا باستقلال العرب الى الشريف حسين حاكم الحجاز الذى أعلن ، استنادا الى ذلك الوعد ، خلع طاعة السلطان وبدء الثورة العربية . ولكن الحكومة البريطانية لم تف بوعدها بعد ان تم لها النصر ، وذهب الشريف حسين ضحية مطالبته اياها بالوفاء بذلك العهد وخسر عرشه وتوفى منفيا خارج الاراضى العربية .

المرحلة الثانية

انتزاع الوعد من الحكومة البريطانية على لسان وزير خارجيتها بلفور بالعطف على انشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين

وخلال عام ١٩١٧ وكانت الحرب العالمية الاولى قد انهكت القوى المتحاربة وكانت بريطانيا تعانى من ضائقة مالية شديدة الوطأة بسبب التكاليف والخسائر الحربية ، فاغتنمها زعماء الصيهونية فرصة مواتية جدا للضغط والتأثير على الحكومة البريطانية لانتزاع وعد منها باعطاء اليهود وطنا قوميا فى فلسطين عند انتهاء الحرب بانتصار الحلفاء ، وذلك فى مقابل مساعدة اليهود لهم فى مجهوداتهم الحربية ومدهم بالقروض المالية لمواصلة الحرب ضد اعدائهم الالمان وحلفائهم ، وقد اثمرت تلك المساعى فوافقت الحكومة البريطانية على اصدار تصريح أعلنه وزير خارجيتها « بلفور » بتاريخ ٢ نوفمبر «تشرين الثانى» ١٩١٧ وأبلغت صورته الى البارون روتشيلد صاحب المؤسسات المالية الكبرى واحد الزعماء الصهيونيين البارزين ...

وتضمن الوعد :

« ان حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف الى تأسيس وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين وستبذل قصارى جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية ، على ان يكون مفهوما جليا ان لن يجرى أى عمل من شأنه ان يغير الحقوق المدنية والدينية التى تتمتع بها الطوائف غير اليهودية الموجودة فى فلسطين وبالحقوق التى يتمتع بها اليهود فى أى بلد آخر وبالمركز السياسى الذى حصلوا عليه فيه »

ان وعد بلفور بمساعدة اليهود على انشاء وطن قومى لهم فى فلسطين القطر العربى المأهول باكثرية ساحقة من العرب الذين يرجع تاريخ دخولهم فلسطين وتوطنهم فيها الى الف وخمسماية سنة للميلاد هو بحد ذاته من الناحية القانونية والدولية ، وعد باطل لانه صادر عن ممثل دولة يمنح رعايا دولة اجنبية حقا فى انشاء وطن قومى لهم فى أرض هى للشعب العربى منذ زمن طويل ، وخاضعة لسيادة دولة أخرى هى السلطنة العثمانية ، وفى زمن لم يكن عدد اليهود المقيمين فى فلسطين يتجاوز ٦ بالمئة من السكان ولم تكن ملكيتهم لاراضيها لتزيد عن ٢١/٢ بالمئة .

ومع ذلك فان وعد بلفور لا يفيد بحد ذاته وبحسب مبناه ومعناه المساعدة على اقامة دولة يهودية فى فلسطين ، وانما توفير نظام لليهود فى فلسطين يحظى بالحماية البريطانية يمارسون فى ظله نشاطهم الثقافى والدينى . وهذا التفسير قد أعلنه فى بدء عهد الانتداب بعض المسؤولين فى الحكومة البريطانية بالتصريح بان الوطن القومى لم تكن الغاية منه فى أى حال اقامة حكومة يهودية تسيطر على الشعب العربى فى فلسطين .

المرحلة الثالثة

تكريس وعد بلفور فى صك الانتداب البريطانى على فلسطين

المصدق من مجلس عصبة الأمم سنة ١٩٢٠ — ١٩٢٢

وعلى أثر انتهاء الحرب العالمية الأولى بانتصار الحلفاء على الجيوش الالمانية وجيوش حلفائها ، فقد انعقد المجلس الأعلى للحلفاء من ممثلى بريطانيا وفرنسا وايطاليا فى مؤتمر سان ريمو فى شهر أبريل نيسان سنة ١٩٢٠ وقرر هذا المؤتمر وضع سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسى ، وفلسطين والعراق تحت الانتداب البريطانى . وقد لعبت الصهيونية العالمية دورا كبيرا فى معارضة انتداب فرنسا على فلسطين وضغطت على بريطانيا ، وخاصة بعد دخول الولايات المتحدة الاميركية الحرب ضد المانيا ، لتكون هى أى بريطانيا حامية الحق اليهودى فى فلسطين .

ولقد تكرس وعد بلفور فى صك الانتداب الذى صدقه مجلس عصبة الامم فى اجتماعه المنعقد بلندن بتاريخ ٢٤ يوليو تموز سنة ١٩٢٢ ووضع موضع التنفيذ فى ٢٩ سبتمبر أيلول سنة ١٩٢٣ . وقد جاء فى مقدمة الصك :

« إن دول الحلفاء الكبرى قد أقرت ما جاء فى تصريح بلفور وزير خارجية صاحب الجلالة البريطانية واعتبرت نفسها مسؤولة عن تنفيذ مضمونه فى سبيل انشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين »

ومما ضمنه صك الانتداب :

١ — مسؤولية الدولة المنتدبة عن وضع البلاد فى احوال سياسية وادارية واقتصادية تضمن انشاء الوطن القومى اليهودى .

٢ — الاعتراف بوكالة يهودية ملائمة كهيئة عامة لاسداء المشورة الى ادارة فلسطين والتعاون معها فى الشؤون الاقتصادية والاجتماعية وغير ذلك من الامور التى قد تؤثر فى انشاء الوطن القومى اليهودى ومصالح السكان اليهود فى فلسطين ولتساعد على ترقية البلاد وتشترك فيها على ان يكون ذلك خاضعا دوما لمراقبة الادارة .

٣ — تسهيل الهجرة لليهود من قبل ادارة فلسطين فى احوال ملائمة ، مع ضمان عدم الحاق الضرر بحقوق ووضع فئات الاهالى الأخرى ، وان تشجع بالتعاون مع الوكالة اليهودية حشد اليهود فى الاراضى الاميرية والاراضى الموات غير المطلوبة للمنافع العمومية .

وخلاصة القول ان مواد صك الانتداب المؤلف من ٢٨ مادة كانت كلها تدور حول مسألتين جوهريتين : الاولى العمل على تحقيق قيام الوطن القومى اليهودى ، والثانية صيانة واحترام الحقوق المدنية والدينية للطوائف الأخرى .

اما المهمة الانسانية التى بررت بها عصبة الامم بدعة الانتداب وخاصة الانتداب من درجة « ٢ » المنطبق على الاقطار العربية المنسلخة عن الدولة العثمانية باعتبار انها بلغت درجة من الرقى يؤهلها فيما بعد للاستقلال شرط وضعها تحت انتداب احدى الدول الكبرى لادارة شؤونها والسير بها نحو الاستقلال ، واما المبادىء الاساسية التى تضمنها صك الانتداب وهى المحافظة على الاراضى المشمولة بالانتداب والدفاع عنها واقامة حكم وطنى بعدئذ فيها ، فهذه المبادىء الاساسية وتلك المهمة الانسانية لم يكن لهما نصيب عملى يذكر من جانب الدولة البريطانية المنتدبة ، بل كان الانتداب وسيلة لتحقيق المشروع الصهيونى لا باقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين مع احترام حقوق العرب فيها ، والمحافظة عليها ، وانما لانشاء دولة يهودية فى هذا القطر العربى قامت على اغتصاب أرضه وطرد أهله والاستيلاء على خيراته وممتلكات أصحابه الشرعيين .

ولقد حرصت الدولة المنتدبة البريطانية فى تطبيق صك الانتداب على الوفاء بوعدها لليهود والاخلال بعهودها المقطوعة للعرب فى الحرية والاستقلال، وعينت أول مندوب سام من قبلها على فلسطين السير هربت صموئيل اليهودى لتضفى على الادارة الفلسطينية طابعا يهوديا ولتطبق على البلاد سياستها الصهيونية المرسومة ، وكان من جراء هذه السياسة ان انصرف الصهيونيون

الى تكوين اكثرية يهودية فى فلسطين تمكنهم من الامساك بزمامها والسيطرة على مقدراتها ، ولجأوا فى سبيل ذلك الى وسيلتين :

الاولى تشجيع الهجرة اليهودية الى فلسطين على نطاق واسع من أوروبا الشرقية ، والثانية تشجيع انتقال الاراضى من أيدى العرب أصحابها الاصليين الى أيدى اليهود بطرق مختلفة كشراء الاراضى ومنح القروض لليهود وتقديم المساعدات لانشاء المستعمرات ، وكلتا الوسيلتين حققتا النجاح المنشود .

المرحلة الرابعة

تدفق سيول الهجرة اليهودية ومقاومة العرب

للمشاريع البريطانية لتسوية المشكلة الفلسطينية

وهذا الوضع الشاذ المخالف للحقوق الانسانية والمبادىء الدولية وللاهداف النبيلة التى رمت اليها عصبة الامم من تقريرها لبدعة الانتداب ، كان من الطبيعى ان يثير سخط العرب الشديد على السياسة البريطانية ، واتخذت هذه النقمة فى ابريل نيسان سنة ١٩٢٠ شكل مظاهرات عنيفة ، وعقد العرب الخناصر على رفض الاعتراف بوعد بلفور وبالانتداب البريطانى وعلى المطالبة باستقلال فلسطين وتشكيل حكومة نيابية .

ومضت بريطانيا تحكم البلاد حكما مطلقا ، بعد ان فشلت فى اقناع العرب بانشاء حكومة فلسطينية يراسها المندوب البريطانى دون ان يكون لاهالى البلاد راى فيها ، بينما لليهود منظمة هى « الوكالة اليهودية » كانت بمثابة دولة داخل دولة . وقامت الجاليات الصهيونية بتاليف منظمات سرية ارهابية مهمتها التخريب والاغتيال والاعتداء على ممثلى السلطة والدوائر الرسمية وعلى الاهالى فى المناطق العربية .

وبعد ان اتسعت حركة المقاومة العربية وادركت بريطانيا ان قضية فلسطين بعد المؤتمر السورى الكبير ، لا تعنى اهلها وحدهم وانما هى قضية العرب جميعا ، قررت ايفاد لجان لدراسة المشكلة القائمة واقتراح الحلول الملائمة للجانبين ، واصدرت الكتاب الابيض سنة ١٩٣٠ وهو يتضمن وقف الهجرة اليهودية الى المناطق العربية ، والسماح بهجرة يهودية محدودة الى اراضى اليهود غير العامرة ، وتعليق انتقال الأراضى من العرب الى اليهود على ترخيص من الادارة البريطانية .

ولكن اليهود ، سرعان ما قاموا بدعاية واسعة النطاق وشددوا ضغطهم على الحكومة البريطانية التى لم تلبث ان نقضت سياستها السابقة ، فعادت الهجرة اليهودية بصورة شرعية وغير شرعية تتدفق على فلسطين ، وخاصة بعد ان تولى هتلر الحكم فى المانيا عام ١٩٣٣ وطبق سياسة التمييز العنصرى التى قضت باعتبار اليهود طغمة مفطورة على الفساد والتخريب لا يحق لها

الاندماج بالشعب الالمانى الاصيل ، وكانت دسائسها من أسباب هزيمة المانيا فى الحرب العالمية الاولى .

ولقد اهاب الزحف اليهودى المتواصل والمتزايد على فلسطين والمنذر بالمصير المظلم والشر المستطير ، باهاليها العرب الى مقاومته بالقوة وبدأت هذه المقاومة عام ١٩٣٦ باعلان الاضراب العام فى جميع انحاء فلسطين ، ثم تطورت المقاومة الى ثورة علنية مسلحة ، اضطرت الحكومة البريطانية معها الى ايفاد لجنة تحقيق ملكية عام ١٩٣٧ حاولت ان تجد حلا وسطا للنزاع بين العرب واليهود ولمسألتى الهجرة والاراضى فأوصت اللجنة بتحديد هجرة اليهود ب ١٢ الفا خلال الخمس السنوات التالية ، واقترحت تقسيم فلسطين الى ثلاث مناطق:

١ — دولة يهودية فى المناطق المأهولة بأكثرية يهودية .

٢ — دولة عربية فى الأجزاء الباقية من الاراضى الفلسطينية وضمها الى شرق الاردن .

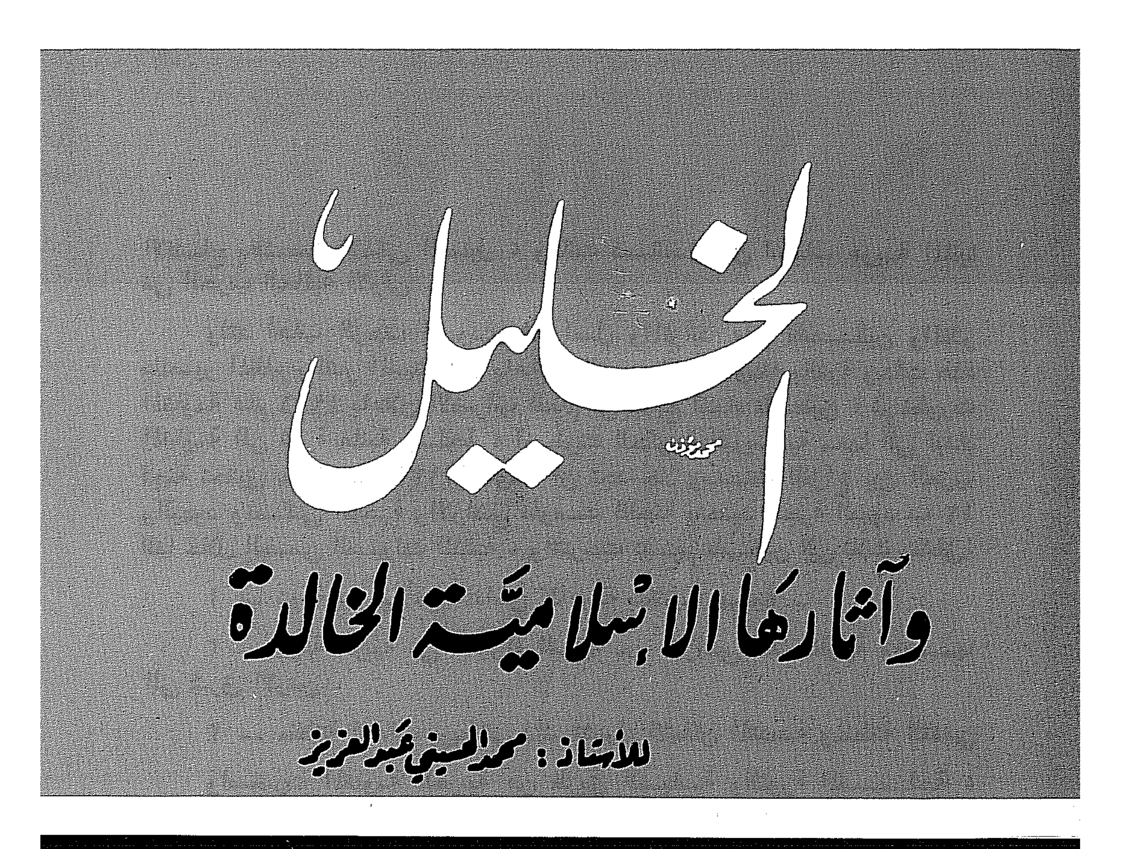
٣ — منطقة انتداب بريطانى دائم تشمل الاماكن المقدسة ومنطقة القدس

واستمرت المقاومة العربية عن طريق السياسة والثورة المسلحة ، واسفرت عن تراجع بريطانيا عن مشروع التقسيم الذى رفضه العرب رفضا باتا .

وعندما نشبت الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ ركز الصهاينة نشاطهم فى الدوائر السياسية الاميركية مستغلين اضطهاد النازية لهم فى أوروبا من ناحية وازدياد نفوذهم فى الولايات المتحدة الاميركية من جهة أخرى . وعندما تولى ترومان منصب الرياسة فى بلاده اظهر عطفا شديدا على اليهود وطالب بفتح ابواب فلسطين لمئة الف مهاجر دفعة واحدة كحل لليهود المشردين فى أوروبا وانتهج سياسة تأييد مطلق وتحيز سافر لليهود لانشاء دولة صهيونية فى فلسطين ، وكان ذلك التأييد المطلق والتحيز السافر المدعومان بالسلطة الكبرى التى يتمتع بها كرئيس للولايات المتحدة الاميركية من ابرز العوامل وانفذها على خلق دولة اسرائيل . وقد عبرت الحكومة الاسرائيلية عن تقديرها لفضله على الشعب اليهودى بان اقامت له تمثالا يرمز الى اعتراف شعبها له بالجميل والى تخليد ذكره . هذا النصب يرمز فى الواقع الى هدر الحق العربى على مذبح مطامع الصهيونية والمصالح الغربية والى انتهاك حرمة ميثاق الامم المتحدة وشرعة حقوق الانسان .

وفى اثناء تلك الحرب عمل اليهود على تكوين قوة عسكرية مدربة تابعة للجيش البريطانى اشتركت فى العمليات الحربية ، وذلك بقصد تسليحها وتدريبها لتصبح قوة فعالة بعد الحرب ، وكانت تلك القوة نواة الجيش الاسرائيلى .

وقد ارتكبت المنظمات الارهابية المؤلفة منها اعمالا اجرامية بحق العرب والبريطانيين معا ، وكان من ضحاياها الوزير البريطانى المقيم فى الشرق الاوسط اللورد موين فى نوفمبر «تشرين الثانى» ١٩٤٤ ، وعدد من الموظفين البريطانيين من جراء نسف فندق الملك داوود الذى كان مقرا للادارة المركزية البريطانية فى القدس عام ١٩٤٦ .

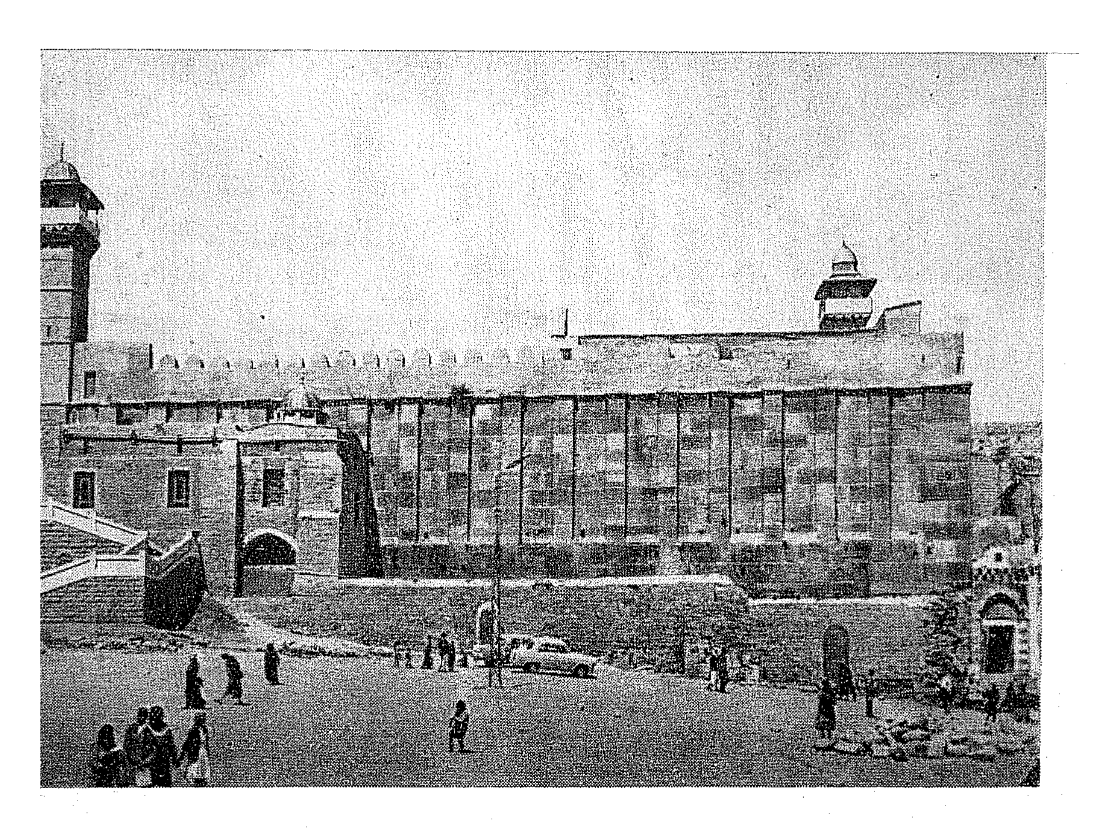


مدينة خليل الرحمن نبي

تنسب مدينة الخليل الى ابى الانبياء ابراهيم عليه السلام الذى وفد اليها مع جماعة من أصحابه ونصب خيامه واشترى أرضا وأقام فيها وعاش ، وكانت تعرف باسم حبرون كما تقول « التوراة » فنقل ابراهيم خيامه وأقام عند بلوطات ممرا التى فى حبرون .

ومدينة حبرون شيدت عام ١٧٠٠ ق.م وتقع على ربوة عالية ترتفع عن مستوى سطح البحر بنحو ثلاثة آلاف قدم ، ولهذا يجود هواؤها ويطيب مناخها ، كما تمتاز بخصوبة أرضها ووفرة مياهها التى تزداد عند ذوبان الثلوج من سفوح جبالها ، وقد عظم شأن المدينة لتوسط مكانها بين غزة والقدس ويربطها بغزة حاليا طريق معبد ، كما تبعد عن القدس بنحو ٤٣ كيلو مترا وتتصل بها عن طريق مرصوف. وقد كسيت جبالها بأشجار العنب والزيتون والخوخ والمشمش والتفاح واللوز والبرتقال حتى تمتد بعض بساتينها نحو سبعة كيلو مترات ، وقد أقام السكان صناعات زراعية كالمربات والمعلبات التى يستهلك بعضها محليا ويصدر الباقى للخارج .

وتشتهر بعدة صناعات منذ القدم فقد اينعت بها صناعات الاوانى الفخارية والزجاجية التى لا زالت تستخدم بعض الاساليب القديمة فى



الله ابـراهـيم عليـه السـلام

الصناعة ، بينما ظهرت صناعات حديثة لنسج الكتان والعباءات والملابس الداخلية وغيرها ، وكان للنشاط التجارى والصناعى أثره الكبير فى حركة العمران والبناء فشيدت بها المدارس والمستشفيات واقيمت المساكن الحديثة جنبا الى جنب مقابل الاحياء القديمة تتخللها الحدائق والبساتين النضرة .

وللمدينة مكانة مرموقة ففيها كما يروى المؤرخون أضرحة الأنبياء ابراهيم واسحق ويعقوب ويوسف عليهم السلام وزوجاتهم الطاهرات

وقد تعرضت مدينة الخليل عبر التاريخ لغزوات الفاتحين من رومان وفرس وصليبيين ووقعت أخيرا فى يد الصهاينة الآثمين لكن العرب مصممون على اعادتها الى حظيرة الاسلام وتحريرها كما حررها أسلافهم من أيدى الرومان والصليبيين .

وقد دخلها العرب عام ٦٣٦م ، وحرروها من أيدى الرومان وأصبحت مدينة عربية اسلامية وأعادوا تعميرها وتجديد ما خربه الرومان والفرس من تدمير لمبانيها وعمائرها وقد اعتنق سكانها (١) الاسلام ودخلوا

(١) يبلغ سكانها نحو ٣٨٠٠٠ نسمة من المسلمين ، بينهم نحو ١١١ مسيحيا .

الخليل

فى دين الله أفواجا وتأصلت الروح الدينية فى نفوسهم فتمسكوا بأهداب الدين وعملوا بآيات الكتاب الحكيم فحسنت سيرتهم وهم يجاهدون العدو الغاصب جهادا متصلا ويهاجمون جنوده ليلا ونهارا وينصبون لهم الكمائن ايمانا بحق بلادهم فى الحرية والسيادة .

وقد أطنب المؤرخون والرحالة فى ذكر محاسن المدينة وفضلها وأشاد الرحالة العربى ابن بطوطة بالمدينة ووصف مسجدها قائلا : هى مدينة صغيرة المساحة ، كبيرة المقدار ، مشرقة الانوار ، حسنة المنظر ، عجيبة المخبر ، فى بطن واد ، ومسجدها أنيق الصنعة ، محكم العمل ، بديع الحسن ، سامى الارتفاع ، مبنى فى الصخر المنحوت، فى أحد اركانه صخرة ، احد اقطارها سبعة وثلاثون شبرا ، ويقال ان سليمان عليه السلام أمر الجن ببنائه وفى داخل المسجد الغار المكرم المقدس ، فيه قبر ابراهيم وآسحاق ويعقوب ، صلوات الله على نبينا وعليهم ، ويقابلها قبور ثلاثة هى قبور أزواجهم ، وعن يمين المنبر بلصق جدار القبلة موضع يهبط فيه على درج رخام محكمة العمل الى مسلك ضيق يفضى الى ساحة مفروشة بالرخام ، فيها صور القبور الثلاثة ويقال انها محاذية لها ، وكان هناك مسلك الى الغار المبارك وهو الآن مسدود .

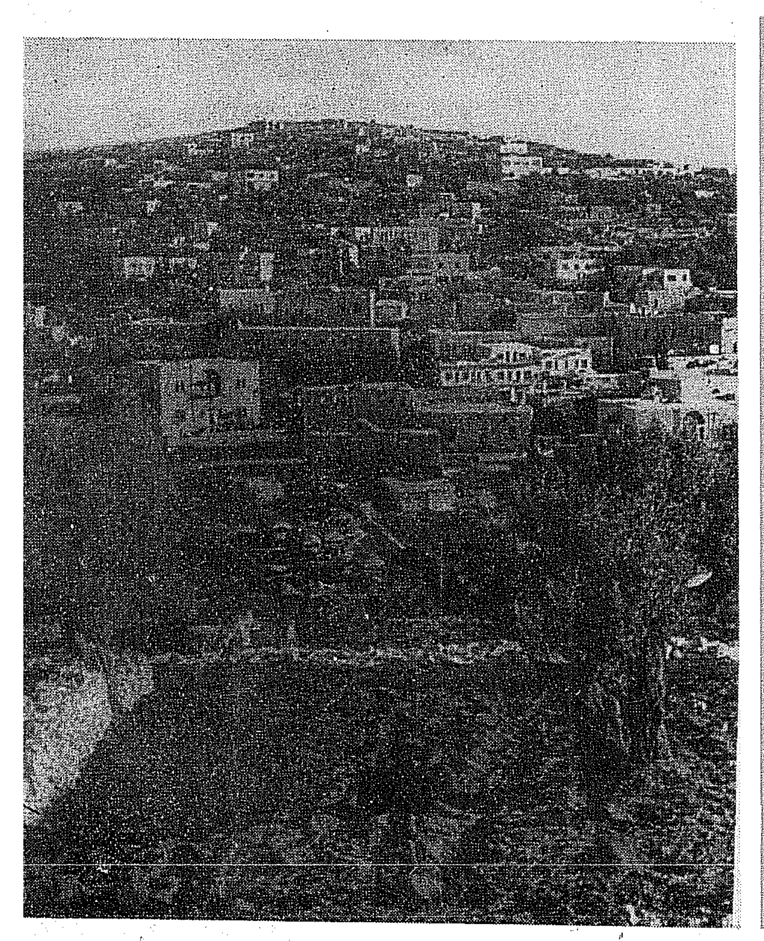
وبداخل المسجد قبر يوسف عليه السلام وبشرقى الحرم تربة لوط عليه السلام وهى على تل مرتفع وعلى القبر أبنية حسنة وهو فى بيت فيها حسن البناء وبالقرب منها مسجد اليقين وهو على تل مرتفع له نور واشراق ليس لسواه ، وبالقرب من المسجد مغارة فيها قبر فاطمة بنت الحسين بن على وبأعلى القبر وأسفله لوحان من الرخام نقش فى احدهما بخط بديع « بسم الله الرحمن الرحيم » لله العزة والبقاء وله ما ذرأ وما برأ وعلى خلقه كتب الفناء وفى رسول الله أسوة ، هذا قبر ام سلمة فاطمة بنت الحسين رضى الله عنه . وفى اللوح الاخر دونت هذه الأبيات :

أسكنت منكان فىالاحشاء مسكنه
بالرغم منى بين الترب والحجر
يا قبر فاطمة بنت ابن فاطمة
بنت الأئمة بنت الأنجم الزهر
يا قبر ما فيك من دين ومن ورع
ومن عفاف ومن صون ومن خفر

تاريخ المسجد الابراهيمى :

اما مسجد ابراهيم الخليل فقد شيد فى أوائل عهد بنى أمية وظل يحظى برعاية الخلفاء العباسيين والفاطميين والسلاطين الايوبيين والمماليك تقديسا للمسجد وتعظيما لشأنه فى نفوس الناس ، فبداخله رفات الانبياء الذين اصطفاهم الله سبحانه ليكونوا هداة للناس يخرجونهم من الظلمات الى النور ويرشدونهم الى الطريق المستقيم طريق الحق والهداية والايمان والرشاد .

وقد شيد المسجد من حجارة منحوته نحتا اخذت من الجبال القريبة



منظر عام لجزء من مدينة الخليل يبين طبيعتها الجبلية وتبدأ المبانى من بطن الوادى وتتسلق سفوح الجبال حتى تصل الى قممها . وفى الصورة تلة من التلال الاربعة التى بنيت عليها مدينة الخليل ونسبت اليها وكانت تعرف باسم ((أربع)) وهناك من يقول انها سميت بذلك الاسم نسبة الى أربع بن حث بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام .

ويصل حجم بعضها الى سبعة امتار وعرضها متر ونصف متر . ويرتفع الجدار نحو ٤٠ قدما ولم يبن على أساس المبنى القديم الذى تحطم على أيدى الغزاة من رومان وفرس .

وللمسجد بابان صغيران احدهما من الشرق والثانى من الغرب ويفتحان على الصحن المكشوف وقد اقيمت للمسجد منارتان مربعتان فى الاركان احداهما فى الجنوب والثانية فى الشمال وقد بنيت من الحجر المصقول المتقن الصناعة وهى على مثال المنارات التى شيدت بالمسجد الاموى الكبير بدمشق ويعلو المسجد شرفات بديعة كما فتحت به نوافذ من الجص والزجاج الملون الجميل .

القباب

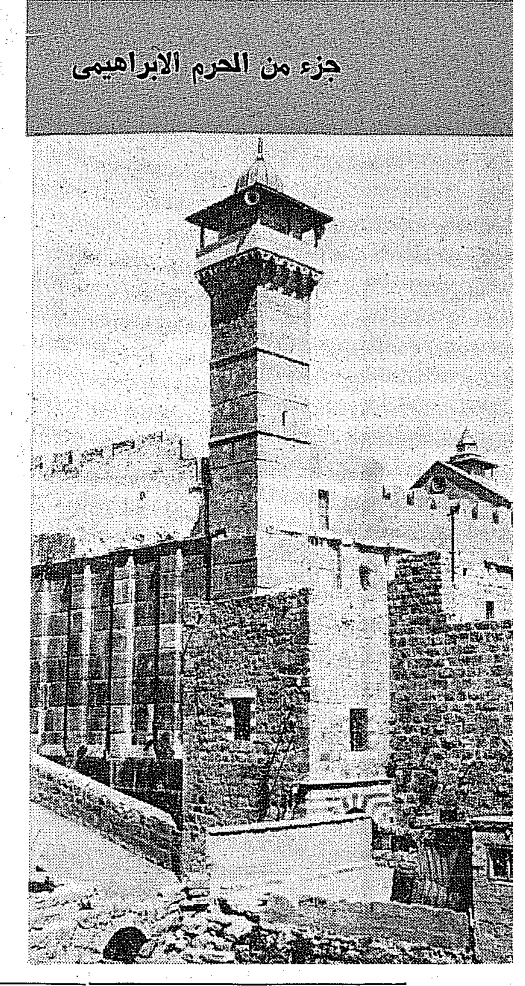
شيد خلفاء بنى أمية القباب فوق ضريح النبى ابراهيم ويعقوب وزوجتيهما كما شيد الخليفة المقتدر بالله العباسى قبة ثالثة فوق قبر النبى يوسف عليه السلام .

وتؤرخ الكتابة الكوفية التى على المنبر البديع الذى صنع أيام الخليفة الفاطمى المستنصر بالله معد أبى تميم خليفة مصر

الخليل

(٤٨٤ هـ) وقد صنع من خشب الجوز الجميل وطعم بالعاج الذى ازدهر فى العصر الفاطمى وبلغ درجة بالغة فى السمو الاتقان وتعتبر الصناعات الخشبية فى العصر الفاطمى (١) مثلا رائعا على تقدم صناعة تجميع الخشب من قطع

جزء من الحرم الابراهيمى



صغيرة تضم زخارف بنائية ورسوم هندسية يزينها اطار من الخط الكوفى المزهر وعلى هذا المنبر ما نصه (بسم الله الرحمن الرحيم نصر من الله وفتح قريب . لعبد الله ووليه معد أبى تميم عليه وعلى آبائه الطاهرين وابنائه البررة الاكرمين صلاة باقية الى يوم الدين . مما أمر بعمل هذا المنبر السيد الاجل أمير الجيوش سيف الاسلام ناظر الامام كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين ابى النجم بدر المستنصرى عضد الله به الدين وامتع بطول بقائه أمير المؤمنين بثغر عسقلان مسجد مولانا أمير المؤمنين ابى عبد الله بن الحسين بن على بن ابى طالب فى شهور سنة أربع وثمانين وأربع مائة.

وقد أمر السلطان صلاح الدين الأيوبى بنقل هذا المنبر من عسقلان ليوضع فى قبر الخليل ابراهيم بعد ان فتح بيت المقدس واستردها من الصليبيين أثر انتصاره على قواتهم فى معركة حطين ٥٨٤هـ .

العمارة والتجديد فى العهد المملوكى

تنافس حكام مصر المملوكية على رعاية المسجد وتعميره فأمر السلطان الظاهر بيبرس بأعادة بنائه واقام له الشرفات فوق السور القديم كما قام السلطان قلاوون وابنه الناصر بتزيين المسجد وتنميقه فدعمت جدرانه بالرخام البديع وطعم محرابه بالفسيفساء النادرة وأضيف له الرواق الشرقى وزخرفت الأبواب حتى أضحى من أجمل المساجد الاسلامية .

---

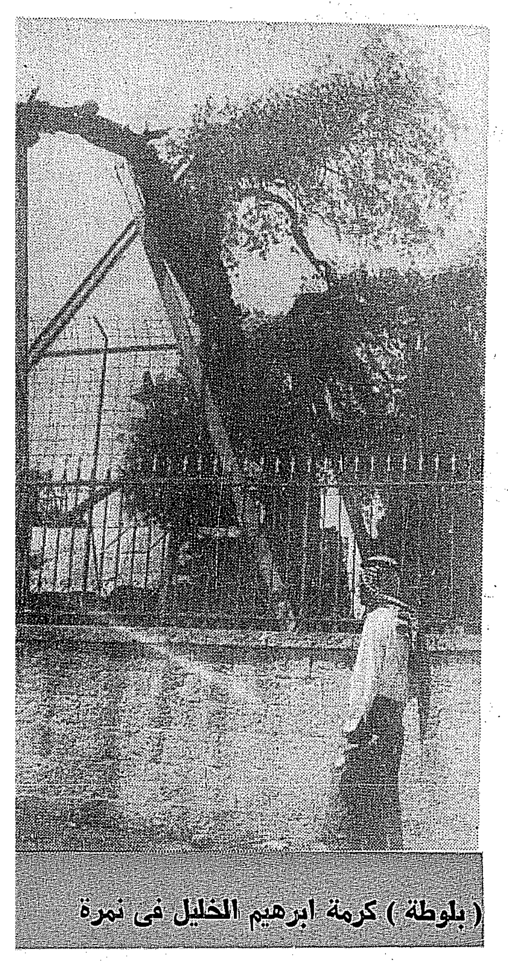
(١) من أشهر المنابر الفاطمية منبر السيدة نفيسة ٥٤١ هـ . وهو محفوظ بالمتحف الاسلامى بالقاهرة .

الاضرحة

والى اليمين من رواق المحراب ضريح النبى ابراهيم وعلى يسار الداخل ضريح زوجته سارة وامام المحراب ضريح زوجة يعقوب عليه السلام اما ضريحه فيقابل المنبر . وبجوار دكة المؤذنين مدخل الغار الشريف . على حين يوجد قبر النبى يعقوب وزوجته فى الرواق الشمالى خلف الصحن المكشوف وفى أقصى الغرب رواق مستطيل به ضريح يوسف عليه السلام .

ويروى الجغرافى العربى ياقوت الحموى فى كتابه معجم البلدان ما نصه (دخلت القدس فى ٧٦٥هـ واجتمعت فيه وفى مدينة الخليل بمشايخ حدثونى انه فى سنة ٥١٣هـ فى أيام بردويل انخسف موضع فى مغارة الخليل فدخل اليها جماعة من الافرنج باذن الملك فوجدوا فيها ابراهيم واسحق ويعقوب عليهم السلام ، وقد بليت اكفانهم وهم مسندون الى الحائط وعلى رؤوسهم قناديل ورؤوسهم مكشوفة فجدد الملك أكفانهم ثم سد الموضع . (١)

ويذكر ابن بطوطة عن صحة قبور هؤلاء الانبياء ابراهيم واسحق ويعقوب ما اسند الى حديث النبى عليه الصلاة والسلام فى رواية ابى هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما أسرى بى الى بيت المقدس مر بى جبريل على قبر ابراهيم فقال انزل فصل ركعتين ، فان هنا قبر ابيك ابراهيم ثم مر بى على بيت لحم وقال انزل فصل ركعتين فان هنا ولد أخوك عيسى عليه السلام ثم أتى بى الى الصخرة » ...



(بلوطة) كرمة ابرهيم الخليل فى نمرة

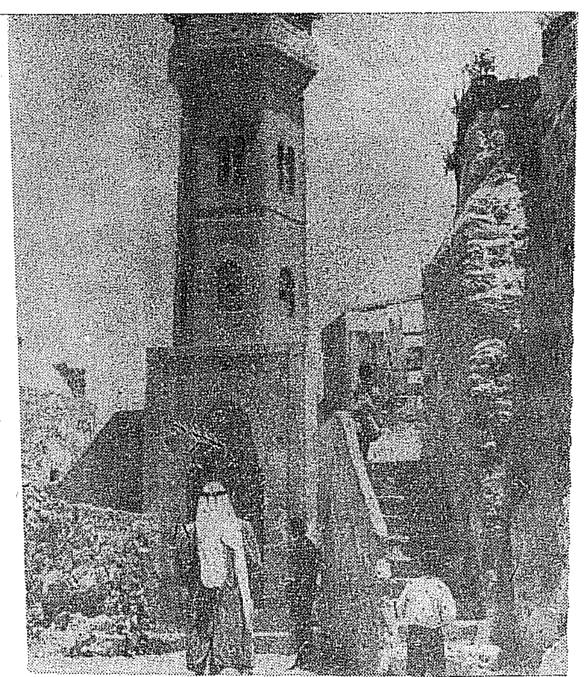
وقد رصدت للمسجد الابراهيمى ريع أراض كثيرة موقوفة على **المسجد** من صدر الاسلام وعلى مر الايام ففى بلدة زكريا وحدها من قضاء الخليل أوقف ١٥ر٣٢٠ دونما هذا الى العديد من القرى التى اغتصبها الصهاينة عام ١٩٤٨م أثر احتلال لاجزاء من فلسطين .

هذه قصة الخليل المدينة المقدسة التى اهتم العرب بتعميرها واقاموا

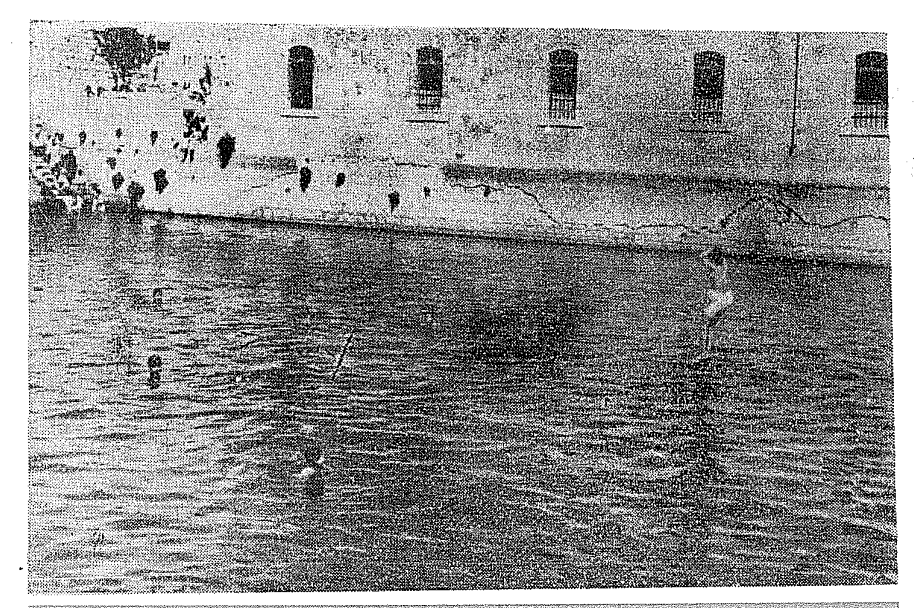
---

(١) رواية ظاهر فيها التزيد والخيال « الوعى »

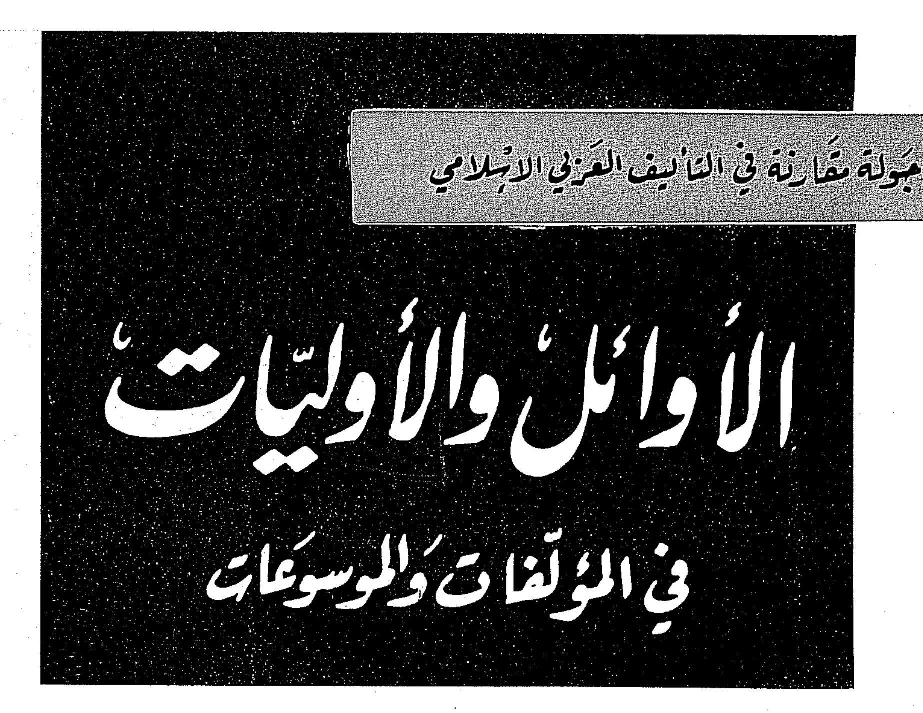
بها المساجد والتكايا ورصدوا المزار
للانفاق على تعمير مقدساتهـا وار
اعتداء الغاصبين على هـذا الحر
الشريف اعتداء على المقدسـات
الاسلامية التى دنسوهـا بأعمالهـ
الدنيئة ليكن هذا حافزا للمسلمين
على اتحاد كلمتهم وتوحيد صفوفهـ
والجهاد فى سبيل الله بأنفسـهـ
وأموالهم لتطهير الخليل والقـدس
وغزة وفلسطين من الصـهيونيا
ولتحرير الارض السليبة من الغزا
وليتمثلوا قول الله سبحانه « أذن
للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله
على نصرهم لقدير . الذين أخرجو
من ديارهم بغير حق الا ان يقولو
ربنا الله .. » وفى ميدان الجهـاد
فليتنـافس المتنافسـون وليعمـل
العاملون ...



جامع الشيخ على البكاء ويقع فى محـلة الشيخ بالخليل ، وقد بنيت مئذنته فى عهد الناصر ابن قلاوون قبل ٦٦٠ عاما .



((بيركة السلطان)) ، أنشأها أحد سلاطين المماليك على الطريق البرى للحج وقوافل التجار ، وتتجمع مياهها من الأمطار ، ويستحم فيها أبناء الخليل وتستقى منها المواشى والحيوانات .



جولة مقارنة في التأليف العربي الإسلامي

الأوائل والأوليات في المؤلفات والموسوعات

للاستاذ : محمد عبد الغني حسن

الاوائل جمع أول . والمقصود به هنا الشخص الذى كان أول من قام بعمل معين لم يسبق له وجود ، أو الشيء الذى قامت بدايته وأوليته فى الوجود . كأن يقال : أول من اختتن هو سيدنا ابراهيم عليه السلام ، وأول من عمل الدروع ولبسها هو داود عليه السلام ، وأول من هشم الثريد لقومه هو عمرو بن عبد مناف ، الجد الثانى للنبى محمد عليه السلام ، ولذا سمى « هاشما » ، وقيل فيـــه :

عمرو العلا هشم الثريد لقومه   ورجال مـــكة مسنتون عجاف

وكأن يقال فى أوائل الاشياء : أول ذنب عصى الله به فى السماء هو حسد أبليس لآدم حين ترفع عن السجود له وأبى واستكبر . وأول ذنب عصى الله به فى الارض هو حسد قابيل لأخيه هابيل على تقبل القربان منه ، فقتله وأصبح من النادمين . كما يذكر القرآن الكريم ، وبهذا كان دم هابيل هو أول دم بشرى أريق على الارض ..

وموضوع « الاوائل » موضـــوع طريف ، لأنه يتتبع أوائل الاشـــخاص والاشياء تتبعا تاريخيا مفيدا . فيمد القارىء بفيض من المعرفة ، ويزوده بأسماء الرواد والطلائع فى كل ميدان من العـــلم والفن والتـــاريخ والوقائع ، وينسب الاعمال والآثار الى ذويها وأصحاب الفضل الاول فيها ، فلا تختلط الاحداث ، ولا تضيع الآثار .

ولقد اهتم العرب بهذا الباب فألفوا فيه الكتب الخاصة به ، أو عقدوا له الفصول فى مؤلفاتهم المتعددة الموضوعات .

وأول من وصل الينا علمه ممن عقدوا الفصول عن «الاوائل» فى مؤلفاتهم : الاخبارى النسابة « محمد بن حبيب » المتوفى سنة ٢٤٥ هـ ، وصاحب كتاب « المحبر » الذى طبع لأول مرة فى حيدر آباد الدكن بالهند سنة ١٩٤٢ م . فقد اهتم فى كتابه هذا ، المحشو بالمعلومات والمعارف ، بذكر أول من سمى «محمدا» من أبناء المهاجرين ، وأول من سمى « محمدا » من بنى الانصار ، وأول مولود قرشى من أبناء المهاجرين ، وأول مولود من الانصار . كما أبدى اهتماما خاصا بذكر بعض « الاوائل » الذين يمتازون بخصائص معينة من النسب الهاشمى ، كأول من ولده هاشميان ، وأول من ولدته ثلاث هاشميات تباعا . .

ويجىء « ابن قتيبة » الدينورى الاديب المفسر المؤرخ المتوفى سنة ٢٧٦ هـ تاليا لابن حبيب فى ذكر « الاوائل » فى أحد مصنفاته القيمة . ففى كتابه « المعارف » عقد فصلا خاصا بالاوائل يبلغ بضع صفحات . وقد توسع فى هذا الباب أكثر مما ذكره ابن حبيب من قبله ، وطاف ببعض الاوائل فى الجاهلية والاسلام .

ثم جاء بعدهما « ابن رستة » المتوفى سنة ٢٩٠ هـ ، وصاحب كتاب « الاعلاق النفيسة » فعقد فى كتابه هذا بضع عشرة صفحة فى موضوع « الاوائل » ، وقد أشار الى هذا الفصل المؤرخ جرجى زيدان وهو يتحدث فى « تاريخ آداب اللغة العربية » عن الجغرافيين الموسوعيين العرب .

وجاء « الثعالبى » المتوفى سنة ٤٢٩ هـ — وهو أديب موسوعى كما نعلم — فعقد فى كتابه « لطائف المعارف » فصلا طويلا عن « الاوائل » وأضاف اليه من الاوائل ما لم يذكره سابقوه ، كما أضاف من استجدوا بعد نهاية القرن الثالث الهجرى ، وهو القرن الذى عاش « ابن رستة » حتى أخرياته .

ولم يكتف المؤرخون والاخباريون العرب بما عقد من فصول فى الكتب حول موضوع « الاوائل » بل رأى بعضهم أن يزيدوه اهتماما بإفراد بعض الكتب له ، حتى يكون ذلك أدل على أهميته ، فرأينا « سليمان بن أحمد الطبرانى » المتوفى سنة ٣٦٠ هـ يؤلف فيه أول كتاب مفرد فى المكتبة العربية بعنوان « الاوائل » ، ثم جاء « أبو هلال العسكرى » المتوفى سنة ٣٩٥ هـ ، فاختص الموضوع بكتاب قائم بذاته ، كما فعل الطبرانى من قبله ، وجعل عنوانه « الاوائل » . وقد وهم جرجى زيدان حين عد كتاب أبى هلال العسكرى أول كتاب ألف فى هذا الموضوع ، فقد سبقه كتاب الطبرانى كما رأيت .

وانقطعت معرفتنا بكتاب جديد عن « الاوائل » خلال ثلاثة قرون ونصف الى أن جاء القاضى « بدر الدين الشبلى » المتوفى سنة ٧٦٩ هـ ، فألف كتابا أسماه « محاسن الوسائل ، فى علم الاوائل » ، وجاء بعده جماعة دخلوا ميدان التأليف المفرد فى موضوع « الاوائل » ، ومنهم « ابن خطيب داريا » المتوفى سنة ٨١٠ هـ ، والعلامة « ابن حجر » المؤرخ المصرى المتوفى سنة ٨٥٢ هـ ، والامام « السيوطى » المؤرخ المتعدد نواحى التأليف المتوفى سنة ٩١١ هـ والذى لم يشارك

فى هذا الباب بالتأليف الاصلى ، بل اكتفى بتلخيص كتاب أبى هلال العسكرى واختصاره والاستدراك عليه ، وأسماه « الوسائل ، الى معرفة الاوائل » . أما بقية المؤلفين فى هذا الموضوع منذ القرن العاشر الهجرى فقد ذكرهم « حاجى خليفة » صاحب كتاب « كشف الظنون » .

ولم يكتف النثر العربى بالمشاركة فى هذا الميدان ، فرأينا القصيد — أو الكلام الموزون المقفى — يسهم فى موضوع الاوائل بأرجوزة لا تزال مخطوطة ، عنوانها « وسائل السائل ، الى معرفة الاوائل » . وليست الاراجيز ذوات الموضوعات العلمية والتاريخية غريبة على التأليف العربى . فهناك أرجوزة « ابن مالك » فى النحو المسماة « ألفية ابن مالك » ، وله كذلك أرجوزة نادرة فى المثلث من الكلام ، وأرجوزة فى المقصور والممدود ، وطبعتاهما القديمة فى مكتبتنا ، وهناك أرجوزة فى تاريخ أمراء دمشق ألفها المؤرخ الشاعر « صلاح الدين الصفدى » ، وسماها « تحفة ذوى الالباب » ، وهى من مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق .

واذا كنا قد أسلفنا القول بأن السيوطى المؤرخ لم يفرد موضوع « الاوائل » بتأليف أصيل ، بل لجأ الى اختصار كتاب أبى هلال العسكرى ، فانه فى الحق — فى كتاب له آخر عنوانه « تاريخ الخلفاء » — قد اختص كل خليفة من الخلفاء الراشدين والامويين والعباسيين الى آخر عهده سنة ٩١١ هـ بذكر أولياته . وجعل خلفاء بنى العباس بالقاهرة امتدادا لخلفاء بنى العباس فى بغداد بعد سقوطها فى يد التتار سنة ٦٥٦ هـ .

ونرى السيوطى فى كتابه هذا يفرد فى آخر سيرة أبى بكر الصديق موضعا خاصا بأولياته ، وكذلك يفعل مع كل خليفة ترجم له وأرخ لحياته ، مع وضع الاوليات فى خلال السيرة أو فى آخرها . وينقل السيوطى عن كل مؤلف ألف قبله فى « الاوائل » وخاصة عن كتاب أبى هلال الذى اختصره كما سلف القول .

ومن طرائفه فى أوليات أبى بكر الصديق أنه : أول من أسلم ، وأول من جمع القرآن ، وأول من سماه مصحفا ، وأول من سمى خليفة ، وأول من اتخذ بيت المال . وقد استند فى هذا الى أثر رد به قول من قال ان عمر بن الخطاب هو أول من اتخذ بيت المال . وتنبه الى وهم أبى هلال فى هذا الموضوع وصححه .

ومن طرائف الاوليات عند عمر — كما ذكر العسكرى وعنه نقل السيوطى — أنه أول من سمى أمير المؤمنين ، وأول من استعمل التاريخ من الهجرة ، وأول من سن قيام شهر رمضان ، وأول من عس بالليل ، وأول من ضرب فى الخمر ثمانين ، وأول من جمع الناس فى صلاة الجنازة على أربع تكبيرات ، وأول من فتح الفتوح ، واول من عاقب على الهجاء .. والمعاقب الاول على الهجاء فى الاسلام هو الشاعر الحطيئة ، فقد هجا « الزبرقان بن بدر » ببيت يقول فيه :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها   واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى

أى اقعد عن طلب المكارم فانك أنت المطعوم المكسو . وقد حكم الشاعر حسان بن ثابت فى هذا البيت أهو هجاء أم معاتبة ! فحكم « حسان » بأنه أقذر من هجاء ! فليس من مروءة الرجل أن يقعد عن طلب المكارم ويكتفى بأن يأكل ويلبس .. ومن هنا قضى عمر على الحطيئة بأن يلقى محبوسا فى حفرة مظلمة ..

أما الخليفة عثمان بن عفان ، فمن أوائله أنه أول من ارتج عليه فى الخطبة وأول من اتخذ صاحب شرطة له ، وأول من اتخذ المقصورة فى المسجد خوفا أن يصيبه ما أصـــاب عمر ، وأول من رتب للمؤذنين فى المســاجد رزقا ، وكانوا يصنعونها تطوعا ، وأول خليفة ولى الخلافة فى حياة أمه .. وأول من هاجر الى الله بأهله من المسلمين ، وكان ذلك فى الهجرة الى الحبشة : أول هجرة فى الاسلام .

ويلاحظ فى كتب الاوائل والفصول الخاصة بها ، قلة أوليات الامام على بن أبى طالب ، بل ندرتها ، فلم يذكر له « الثعالبى » فى اللطائف الا أنه أول من آمن بالنبى من الصبيان . ولم يذكر له « ابن قتيبة » فى معارفه أولية واحدة .. على حين لم يذكر له « السيوطى » الا أولية اسلامه . على أن ما يجبر هذه الندرة فى أوليات الامام على هو هذه الكثرة الكاثرة من الاحاديث والاخبار الواردة فى فضله ومناقبه ، مما ليس هنا موضع ذكره .

ولم تنقطع مسيرة « الاوائل » فى التاريخ العربى الاسلامى ، فلكل انسان عمل قد يكون هو ابن بجدته والبادىء به ، فلا يضن عليه التاريخ بتسجيل هذه الاولية له . وقد كان للأمويين كثير من « الاوليات » فى التاريخ ، فمعاوية أول من وضع البريد فى الاسلام ، وأول من خطب الناس قاعدا ، وذلك حين كثر شحمه ، وعظم بطنه ! وهو أول من اتخذ الخصيان لخدمته ، وقد كثروا بعد ذلك عند العباسيين والايوبيين ، والمماليك ، والعثمانيين . وعبد الملك بن مروان أول من سمى فى الاسلام باسم عبد الملك ، وأول من ضرب الدنانير ، وأول خليفة بخيل ، وكان يسمى « رشح الحجارة » لكثرة بخله .. والخليفة يزيد الناقص هو أول خليفة خرج بالسلاح فى العيدين .. وهكذا .

و « الاوائل » فى العصر العبـــاسى كثيرة أيضا . فلكل من المنصـــور ، والرشيد ، والامين ، والمستعين ، والمعتمد ، والقاهر ، والمستكفى أوليـــاته المتنوعة . فأبو جعفر المنصور أول من أوقع الفتنة بين العباسيين والعلويين . والرشيد أول خليفة لعب بالصولجان ورمى النشاب والكرة ، وأول من جعل للمغنين مراتب وطبقات ، والامين أول خليفة دعى له على المنابر بلقبه لا باسمه . والخليفة المستعين أول من أحدث لبس الاكمام الواسعة ، فجعل فتحتها نحوا من ثلاثة أشبار ..

وتحفل الموسوعات ودوائر المعارف وكتب الرحلات والكشوف الطبيـــة والجغرافية والعلمية والفنية بأخبار « الاوائل » — أو الرواد — فى ميـــادينهم ومجالات نشاطهم ، كما تحفل بأخبار أوائل الاشياء .. فأول متسلق لجبل مون بلان بالالب هما : جاك بالما ، وميشيل باكار سنة ١٧٨٦ م . وأول متسلق لقمة ايفرست بجبال همالايا هو ادمون هيلارى النيوزيلاندى سنة ١٩٥٣ . وأول من عبر المحيط الاطلنطى بالطائرة منفردا هو الطيار لندبرج سنة ١٩٢٧ م . وأول من رحل بالطائرة هما الاخوان أورفيل ، وويلبر رايت مخترعا الطائرة ، وكان ذلك سنة ١٩٠٣ . وأول من ظفر بجائزة نوبل فى الاداب هو « سللى برودوم » الشاعر الفرنسى ، وكان ذلك سنة ١٩٠١ ، وأول من اخترع آلة السينما هما الاخوان الفرنسيان لوميير سنة ١٨٩٥ م . وأول رائد أمريكى للفضاء هو « آلان برتلت شبارد » وكان ذلك فى رحلته نصف المدارية سنة ١٩٦١ م . وأول من اخترع

جهاز التلفزيون جراهام بل ، وكان ذلك بين عامى ١٨٧٦ ، ١٨٧٧ ، وأول من طاف حول الارض فى سفينة هو الملاح البرتغالى ماجلان ، وقد بدأ رحلته سنة ١٥١٩ م ، وبها برهن على كروية الارض ، وأول أمين عام للامم المتحدة هـو النرويجى : تريجفى لى . وأول مكتشف لعقار البنسلين هو السير الكسندر فلمنج الاسكتلندى المتوفى سنة ١٩٥٥ م ، وهكذا .

أما أوائل الاشياء فكثيرة أيضا كثرة تطور المعارف البشرية ونمو التقدم الحضارى عند الامم . فأول مصباح كهربى متوهج ناجح هو ذلك الذى أنتجه المخترع الامريكى توماس أيدسون سنة ١٨٧٩ م ، وأول بلد استعمل الزامية التعليم ، وجعلها حقا للمواطن وواجبا على الدولة هى ألمانيا ، وقد بدأت بها فى أعقاب حركة الاصلاح الدينى ، وانتشرت فى دول الشمال فى أثناء القرن الثامن عشر ، وأول صحيفة ظهرت فى مصر هى « الوقائع المصرية » ، وكان ذلك سنة ١٨٢٨ م .

ويقـابل « الاوائل » « الاواخر » .. وكما تنبـه المؤرخون الى الاوائل والاوليات فسجلوها ، تنبهوا كذلك الى الاواخر فدونوها . ولعلهم لم يضعوا فى الاواخر كتابا قائما بذاته لقلة الوارد فيها بالقياس الى الاوائل .

وقد ألحق المؤلفون موضوع الاواخر بالاوائل ، من باب اضافة الشىء الى مقابله . ويذكر صاحب « كشف الظنون » أن بعض المتأخرين ألحقوا مبـاحث « الاواخر » بموضوعات كتب « الاوائل » .

وقد تذكر لفظة « آخر » و « أواخر » صريحة بحروفها ، كما نراه عنـد السيوطى مثلا حين يقول : (آخر خليفة انفرد بتدبير الجيوش والاموال : الراضى وهو آخر خليفة له شعر مدون) وقد تكون الاشارة الى صفة « الآخرية » بمفهوم النص لا بصريح اللفظ ، كما نراه عند الثعالبى حين يقول فى لطائفه : (كان عمر ابن الخطاب أصلع ، وعثمان ، وعلى ، ومروان بن الحكم ، وعمر بن عبد العزيز. ثم انقطع الصلع عن الخلفاء ..) ومعنى هذا أن آخر خليفة أصلع حتى عصر الثعالبى كان الخليفة الاموى عمر بن عبد العزيز .

وقد تكون قضية « الاوائل » ، و « الاوليات » من المسلمات التى لا نزاع فيها ، ولا خلاف عليها . وذلك هو الشأن فى أكثرها . أما بعضها فقد يتنازعه شخصان أو أكثر ، أو بلدان أو أكثر .. فقضية كشف أمريكا على يد الرحالة كريستوف كولمبس ، وأنه هو أول مكتشف لها ، تقابلها الآن نظرية جديدة ، وهى أن العرب كشفوها قبل كولمبس بزمن بعيد . والقضية القـائلة بأن جوتنبرج الالمانى المتوفى سنة ١٤٦٨ هو أول مخترع للمطبعـة ذات الحروف المنفصلة ، تنازعها قضية تقول ان يانسون كوستر ، وبامفليو كاستالدى هما أسبق من جوتنبرج الى اختراعها ، وأحق منـه بصفة « الاولية » . وقضية الاولية فى التصـوير الضوئى يتنازعهـا أكثر من واحد من أمثـال : داجر ، وتالبوت ، وآرتشر ، ومينسيفر ..

وستظل هذه القضايا الخاصة بالنزاع على « أولية » الاختراع مجالا للأخذ والرد ، ما لم يقم عليها دليل قاطع لا يقبل الاحتمال والتأويل ، ومن أين لنا بمثل هذا الدليل ؟!



للأستاذ الشيخ
عبد الفتاح أبو غدة
المدرس فى كلية الشريعة بالرياض

(١)

خصائص القضاء فى الاسلام ومزاياه :

بينا فى المقال السابق منزلة ولاية القضاء فى الاسلام وشرفها الرفيع فى نظر هذا الدين الحق ، وفى هذا المقال نبين مزايا القضاء الاسلامى وخصائصه .

ان القضاء فى الاسلام يقوم على أسس قويمة متينة ، ويتميز بخصائص فريدة بارزة ، ونجمل عماد تلك الخصائص والمزايا فيما يلى :

١ ــ الايمان بالله تعالى :

الذى يجعل من القاضى رقيبا على نفسه ، فى حكمه على القريب والبعيد ــ والعدو والصديق ، فينتفى من حكمه الجور والتحيز والمداهنة ، ويسلم له العدل والمساواة والنصفة . قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ، واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون) . وهكذا يتضح لنا كيف أن الايمان بالله ، واستشعار المسئولية بين يديه ينبعث عنه العدل والانصاف . وهذا الاساس ــ الايمان بالله ــ يفتقده كل قانون وضــعى ، مهما تحرى به العدل والاحكام . ومن خلال هذه الخاصة أيضا يتبين لنا متانة القضاء فى الاسلام ، وأنه مقام منيع محصن من تدخل ذوى النفوذ والجاه والقوة فيه ، لأنه ينبعث من عقيدة الايمان لا من تولية السلطان .

٢ ــ الله سبحانه هو الحاكم وحده :

قال تعالى : (ان الحكم الا لله) . وقال سبحانه : (والله يحكم لا معقب لحكمه) . وقال أيضا : (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) .

فلا حاكمية الا لله وحده ، والرسول صلى الله عليه وسلم مبين لحكم الله ، حاكم بقول الله وشرعه ، كذلك الحكام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم انما هم فيما يقضون به نواب عن الله ، ومنفذون لأحكامه لا غير . قال الله تعالى فى كتابه الكريم : (يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ، ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ، ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) .

٣ ــ الشريعة التى يحتكم اليها هذا القضاء :

شريعة عادلة كاملة محكمة ، كيف لا وهى شريعة خالق الخلق وأحكم الحاكمين ، وقد أكملها للناس وأنزلها خاتمة الشرائع السماوية وأتم بها نعمته وفضله على جميع العباد ، وجمع لهم فيهـــا خير الدنيا والآخرة قال تعالى : (وان احكم بينهم بما أنزل الله) ، وقال سبحانه : (اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا) . وقد كفلت هذه الشريعة بكمالها وتمامها للناس كل حاجاتهم ، وأغنتهم عن كل تشريع آخر ، فأى حكم بخلافها هو خروج عن العدل ، ووقوع فى الحيف الذى لا تسلم منه الاحكام والقوانين التى يسنها البشر لأنفسهم ، فيشملها الضعف والهوى والقصور الانسانى ، وطبيعى أن يتأتى عن ذلك الظلم والاضطراب والفساد .

أين شرع الناس من شرع الذى　　　خلق الدنيـــا وسوى العالمين ؟

٤ ــ العــــدل :

لقد تميز قضاء الاسلام فيما تميز به عن غيره باقامته العدل بين الناس ، دون تفريق بين أبيض وأسود ، وملك وسوقة ، وصغير وكبير ، وغنى وفقير ، وشريف وحقير ، فالناس فى نظر الاسلام سواسية كأسنان المشط ، لا فضل لعربى على عجمى ، ولا لأبيض على أسود الا بالتقوى أو عمل صالح ، كلكم لآدم وآدم من تراب .

وقد فرض الاسلام العدل فى الحكم مع العدو والصديق ، والبعيد والقريب ، وآيات القرآن الكريم الناطقة بذلك كثيرة . قال الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم لله أو الوالدين والاقربين) .

٥ ــ المســـــاواة :

ونريد بها الغاء ما تعارف عليه الناس من التمييز بين الشريف والوضيع فى الحكم ، بسبب الشرف والضعة ، دون نظر الى حق المحق وباطل المبطل منهما .

فالاسلام أقام التسوية بين أصناف الناس جميعا أمام الحق والقضاء ، مهما تباينت منازلهم وألوانهم وأجناسهم وبلدانهم وألسنتهم وأديانهم .

وعلى هذا الاساس قام القضاء فى الاسلام ، وبه تميز ، فكان غرة فى جبين القضاء الانسانى أبد الدهر .

٦ — الشمول لأنواع الحقوق وشؤون الحياة :

القضاء فى الاسلام قائم على شريعة الاسلام بطبيعة الحال ، ونحن نعلم أن شريعة الاسلام كاملة ، ومن كمالها تناولها شؤون الحياة كافة ، قال الله تعالى : (ما فرطنا فى الكتاب من شىء) وقال أيضا : (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين) .

والقضاء الاسلامى يتناول — فيما يتناوله — شؤون الاموال والاعراض والدماء وسائر الحقوق ، وهو يشمل نظام البيوت ، ونظام الحكم ، والتعامل بالاموال ، والعقود مهما تنوعت ، وشؤون الحرب والسلم .. والتحكيم وغيرها ، فكل ما يتنازع الناس فيه من شؤون الدنيا داخل فى قضاء الاسلام .

٧ — وحدة القضاء :

ومما تقدم يتبين لنا مزية هامة لها أثرها الخطير فى النفوس والافكار ، وهى : وحدة القضاء الاسلامى ، فالانسان فى ظل قضاء الاسلام ليس هو أمام قضاء متعدد النزعات ، مختلف الجهات ، متباين المصادر ، تتضارب مصالح الناس عنده ، وتذهب حقوقهم بسبب اختلاف قواعده وحلوله للمشكلات والوقائع والخلافات ، بل ليس أمام ذلك الانسان الا قضاء واحد شامل متكامل متجانس بفروعه المتعددة واختصاصاته المتنوعة .

٨ — اقتصاره على مصالح الدنيا دون تدخله فى الامور العبادية :

والمسائل الاجتهادية الخلافية ، والوقائع الاخروية . فان الشمول الذى تميز به انما هو من الامور المتنازع فيها من مصالح الدنيا ، أما ما عداها من الامور التى ذكرناها فانها لا تدخل فى نطاق القضاء وحكم الحاكم أصلا ، كما لا تدخل فيه خوالج النفوس ونيات الناس ما لم تتمثل فى أعمال .

قال الامام القرافى فى كتابه (الاحكام فى تمييز الفتاوى والاحكام وتصرفات القاضى والامام) ص ٢٣ : والحكم انما يكون فيما يقع فيه التنازع لمصالح الدنيا ، أما مسائل الاجتهادات فى العبادات ونحوها فلا يدخلها حكم أصلا .

فليس لحاكم أن يحكم بأن هذه الصلاة صحيحة أو باطلة ، ولا أن هذا الماء دون القلتين فيكون نجسا ، فيحرم بعد ذلك استعماله ، بل ما يقال فى ذلك انما هو فتيا ، ان كانت مذهب السامع عمل بها ، والا فله تركها والعمل بمذهبه . ولا يلزم شىء من أحكام العبادات ونحوها من لا يعتقده ، بل يتبع مذهبه فى نفسه ، ولا يلزمه قول ذلك القائل بحكم الحاكم به .

٩ — اعتماده على الوازع الايمانى القلبى :

ولئن كان من حكمة القضاء فى الاسلام ومزاياه أن يتولى الفصل فى القضايا المتعلقة بمعاملات الناس ومصالحهم الدنيوية ، ودون قضايا العبادات والاخرويات كما ذكرنا ، فان من مزاياه أيضا اعتماده على الوازع الايمانى القلبى فى نفوس المتخاصمين حتى لو ضلل القضاء ، فانه يبقى الحرام حراما ولو حكم القاضى بحله اعتمادا منه على البينة الواضحة .

وهذا الوازع الايمانى المتولد عن عقيدة الاسلام ، يعتلج فى قلب الخصم حتى يجعله يتورع عن أكل أموال الناس بالباطل ، ولو سانده القضاء فى الظاهر ، عن أم سلمة رضى الله عنها قالت : قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجلين من الانصار ، اختصما اليه فى مواريث بينهما قد درست معالمها ، ليس عندهما بينة الا دعواهما ، قال لهما : (انكم تختصمون الى ، وانما أنا بشر ، ولم ينزل على فيه شىء ، وانى أقضى بينكم برأيى فيما لم ينزل على فيه ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض ، فأحسب أنه صادق فأقضى له فانى أقضى بينكم على نحو ما أسمع ، فمن قضيت له من حق أخيه شيئا ظلما بقوله فلا يأخذه ، فانما أقطع له قطعة من النار ، يطوق بها من سبع أرضين يأتى بها سطاما فى عنقه يوم القيامة ، فليأخذها أو ليدعها . فبكى الرجلان جميعا لما سمعا ذلك ، وقال كل واحد منهما : يا رسول الله حقى هذا الذى أطلب لاخى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما اذا قلتما هذا فاذهبا واقتسما ، ثم توخيا الحق ، فاجتهدا فى قسم الارض شطرين ، ثم استهما ، ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه) رواه أحمد والبخارى ومسلم وأبو داود والنسائى والترمذى وابن ماجه ، وجمع بين رواياتهم .

١٠ ــ استقلاله ونزاهته :

القضاء فى الاسلام سلطة عليا ذات كيان رفيع ، مستقلة فى ذاتها ، بمعنى أنه لا سلطان عليها لأمير أو خطير فى أن يتدخل فى أحكامها ، ذلك أن القاضى نائب عن الله عز وجل ، وهو مسئول بين يديه ، فهو ــ وان قامت الحكومة بتوليته منصب القضاء ــ هو بواقع الامر نائب عن الله ، لا يحكم الا بما أنزل الله ، وأرشد اليه رسوله صلى الله عليه وسلم ولا يكون أحد من رجال الدولة حتى أكبر كبير فيها فى منجاة من أن يقضى عليه اذا اقتضى العدل ذلك ، شأنه كشأن عامة الرعية أمام القضاء .

قال الامام الكاسانى الفقيه الحنفى فى كتابه العظيم (بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع) ٧ : ١٦ « ان القاضى لا يعمل بولاية الخليفة وفى حقه ، بل بولاية المسلمين وفى حقوقهم ، وانما الخليفة بمنزلة الرسول عنهم » فلذا اذا مات الخليفة أو خلع لا تنعزل قضاته . وقد صح أن نصرانيا ادعى على هارون الرشيد دعوى ، فسمعها القاضى أبو يوسف ، مع أنه مولى من قبل الرشيد ، فالقاضى يقبل الدعوى على السلطان أوله لاحقاق الحق .

وسنرى فيما بعد كيف قضى شريح على أمير المؤمنين سيدنا على رضى الله عنه ، وكان خصمه يهوديا ، كما قضى أبو يوسف على الخليفة هارون الرشيد ، وكان خصمه نصرانيا ، وكما قضى محمد بن عمران الطلحى قاضى أبى جعفر المنصور عليه فى خصومته مع الحمالين الجمالين ، انه الاسلام .

ومن أدل الوقائع التى تعبر عن هذا المعنى العظيم ، الذى تميز به قضاء الاسلام : ما وقع للسلطان صلاح الدين الايوبى رحمه الله تعالى ، فقد جاء اليه رجل من أصحابه وأهل الدالة عليه ، يستعديه على رجل غشه ، فقال له صلاح الدين : ما عسى أن أصنع لك ؟ وللمسلمين قاض يحكم بينهم ، والحق الشرعى مبسوط للخاصة والعامة ، وأوامره ونواهيه ممتثلة ، وانما أنا عبد الشرع وشحنته فالحق يقضى لك أو عليك (١) .

ومعنى عبارة السلطان أنه ليس الا منفذا لحكم الشرع وتابعا له ، كالشحنة وهو صاحب الشرطة ، أى رئيسها وأن القضاة مستقلون بالحكم ، لا سلطان لأحد عليهم .

فهذه الواقعة ، والوقائع التى أشرنا اليها ، وغيرها كثير ، كلها تمثل لنا استقلال القضاء ونزاهته فى هذا الدين الحنيف ، وذلك هو الطابع العام لقضاء الاسلام .

---

(١) ذكره الشيخ رشيد رضا فى « الوحى المحمدى » من طبعته الثالثة ص ٢٤٢ .

١١ — عمومه وعالميته :

مما هو معلوم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل للناس كافة ، وأن هذه الشريعة مخاطب بها كل بنى آدم ، وأن كل انسان منهم مدعو للدخول فيها والانضواء تحت ظلها . وقد قرر الاسلام الحنيف أن الناس جميعا على اختلاف ألوانهم وأجناسهم ولغاتهم وديارهم .. نوع واحد ، ومن أصل واحد : « انا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل » « كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى أو عمل صالح » .

ولدى استقراء أحكام هذه الشريعة الاسلامية الغراء — التى هى مرجع القضاء — نجدها لا تفرق بين مشرقى ومغربى ، وصينى وعربى ، وأبيض وزنجى .. وهذا كله يدلنا على عالمية هذا القضاء الاسلامى ، وعلى عمومه للبشر قاطبة . فهو القضاء الوحيد الذى يمكن أن يحتكم اليه كل فرد من ألوان البشر ، لاطمئنانه أنه أمام قاض عالمى النظرة والتصور ، أمام قضاء سن أحكامه البارى سبحانه وتعالى لعباده كافة . وهو القائل فى كتابه الكريم (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) . والقائل سبحانه : (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها ، واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) . ولنقايس بين هذا فى الاسلام ، وبين ما عليه الكثير من الامم التى تدعى الحضارة والرقى اليوم ، مثل أمريكا وجنوب افريقيا ، وما يقوم بهما من المآسى المرة من جراء التفرقة بين لون ولون ، وعنصر وعنصر ، مما تتجدد أنباؤه على أسماع العالم كل يوم .

١٢ — كماله وخلوده :

لقد تبدى لنا من كل ما سبق أن هذا القضاء متكامل الوجود . مستجمع لشرائط احقاق الحق مستوف — على الوجه الامثل — لكل ما يتعلق بالحاكم والمحكوم وشريعة التحاكم وأصول التقاضى وسائر ما يتصل بالقضاء .

وجدير بمثل هذا القضاء الكامل أن يكون بلسما للناس فى كل عصر وجيل ، يصلح بينهم ، ويقوم أودهم ، ويرد شاردهم الى جادة الحق والصراط المستقيم ، فهو خالد خلود شريعة الاسلام ، باق ما بقيت السموات والارض .

هذا ما رأيت تعداده من الخصائص والمزايا للقضاء الاسلامى ، وهناك أمام الباحث الدارس أمور يمكن أن تضاف اليها أيضا ، فتكون من مزاياه مثل كونه مجانيا ، لا يتوقف على رسوم وأجور تقدم من أحد الخصمين ، ليقبل النظر فى الدعوى . وواضح أن هذه المزية تمكن الفقير وغيره من الوصول الى انصافه واقامة العدل بينه وبين ظالمه ، وحرى بالقضاء العادل أن لا يكون بينه وبين الضعفاء من أصحاب الحقوق معوق ولا حجاب .

ومما يذكر أيضا فى هذا المجال ثراء (الفقه الاسلامى) الذى هو المرجع العام للقضاء ، ذلك الفقه الذى لا نظير له عند أمة من الامم . كيف لا وقد نما واتسع على مر العصور خلال أربعة عشر قرنا ، وامتد على آفاق واسعة من الكرة الارضية ، وقد بذلت فيه قرائح العقول وكرائم الجهود من

شتى الاجناس والشعوب وواجه بالحلول الواقعية الحاسمة مشكلات بنى الانسان على اختلافهـا وتنوعها وتجددها ، ومن تلك المزايا أن لهذا الفقه المتجدد قواعد وأصولا منهجية ، تسعف القاضى وتسدده فى التطبيق والاستنباط .

تلك هى أهم خصائص قضاء الاسلام ومزاياه ، فلا عجب أن نشهد فى تاريخه النماذج الرائعة الكثيرة تتجدد وتتكرر على مر العصور ، وخاصة اذا قابلنا بينه وبين قضاء الامم الاخرى فى القديم والحديث . وذلك الفضل كله ناتج عن الاصل الاول لهذا القضاء ، وهو صدوره عن الشريعة المنزلة من عند الله تعالى ، على نبيه وأكمل خلقه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم المبعوث رحمة للعالمين بهذا الاسلام الحنيف .

والآن نسير مع هذا القضاء العظيم لنشهد فى لمحات نشأته وأطواره .

القضاء فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم

تمهيـــــد :

فى هذا العهد النبوى الكريم نشهد مولد القضاء الاسلامى ، ورفع قواعده ، واقامة أركانه : من شرع حكيم يحكم به ، وتصور سـليم للكون والانسان والحياة يدعم هذا القضـاء ، وتحديد للمسئولية ، وجعلها فردية ، واقامة لرقابة الله فى قلوب الناس حاكمين ومحكومين ، مدعين أو مدعى عليهم ، الى غير ذلك مما يحقق العدل والنصفة والاخاء بين العباد .

مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم :

لـما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مكة ، قام يدعو الناس الى دين الله تعالى والايمان به سبحانه ، وتوحيده بالعبادة والطاعة ، ونبذ الشرك والاصنام ، وتنزيه العقل عن لوثات الوثنية والضلالات . ثم أذن له بالهجرة من مكة المكرمة الى المدينة المنورة ، فهاجر اليها ، وكثر الداخلون فى دين الله ، وانتشرت دعوة الاسلام ، وتزايد نموها وقبولها .

رسول الله صلى الله عليه وسلم قاضيا :

وكما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مأمورا بالدعوة الى الله وتبليغ الاحكام : كان مأمورا أيضا بالحكم والفصل بين الناس فيما يقع بينهم من اختلاف وتنازع . وقد جاء فى القرآن الكريم آيات كثيرة تشير الى ذلك ، منها قوله تعالى : « وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ، فاحكم بينهم بما أنزل الله ، ولا تتبع أهواءهم » . وقوله سبحانه « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » .

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر ربه ، يحكم بين الناس فيما اختلفوا فيـه ، ويبين لهم ما يحل وما يحرم ، ويفصل فى خصوماتهم الى جانب قيامه بتبليغ الشرائع والاحكام ، فكان صلى الله عليه وسلم : الامام والقاضى والمفتى والرسول المبلغ عن الله تعالى ، ورفع اليه كثير من الامور المتنازع فيها ، فقضى فيها بما أنزل الله اليه فى كتابه ، وبما هداه اليه من الحكمة ، وبما وهبه من رأى ونظر سديد حكيم . كما أفتى فيما استفتى فيه .

والحكمة فى تولى النبى صلى الله عليه وسلم القضاء بنفسه ظاهرة ، وهى أن العدل أساس العمران ، ولا ارتقاء ولا رجاء لتأليف أمة وتعاضدها وتكوين وحدتها الا بالعدل والامن على الحقوق ؛ لهذا كان عليه الصلاة والسلام يتولى القضاء بنفسه تأليفا لهم ، وتدريبا على اقامة العدل ، وتنبيها لهم أن يكونوا قوامين بالقسط ، وأن يلى قضاءهم من يكون أفضلهم وأنزههم وأعلمهم .

نهج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القضاء :

ونجمل فيما يلى أهم ما عمل به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو أقره من طرق الاثبات فى القضاء ، وهى : الاقرار ، البينة ، اليمين ، القسامة ، القيافة ، القرينة ، القرعة ، ونحوها ، وكان يقول : البينة على المدعى واليمين على من أنكر .

وكان يترافع اليه المتخاصمان فيسمع كلام كل منهما ، ثم يقضى على نحو ما يسمع ، اعتمادا على ظاهر البينة ، ودلائل الاثبات أو النفى ، فكان يحكم بالظاهر وكان قضاؤه صلى الله عليه وسلم فيما لم ينزل عليه فيه شىء اجتهادا منه ، ويشهد لذلك قوله تعالى : « انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما » . كما يشهد له من السنة المطهرة حديث أم سلمة رضى الله عنها الذى تقدم بتمامه ، وفيه قوله صلى الله عليه وسلم : « انكم تختصمون الى ، وانما أنا بشر ، وانى أقضى بينكم برأيى فيما لم ينزل على فيه ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض ، فأحسب أنه صادقا ، فأقضى له ، فمن قضيت له من حق أخيه شيئا ظلما بقوله فلا يأخذه ، فانما أقطع له قطعة من النار » .

اقضية النبى صلى الله عليه وسلم :

وخلال السنوات العشر الكريمة التى عاشها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المدينة المنورة ، صدرت عنه أقضية غير قليلة فى الوقائع التى ترافع الناس فيها اليه ، وقد أفردت تلك الاقضية النبوية بالتأليف من كثير من العلماء جزاهم الله خيرا . ونكتفى بذكر نموذج واحد منها لضيق المقام .

نموذج من اقضية الرسول صلى الله عليه وسلم :

روى مسلم فى « صحيحه » فى كتاب الحدود ١١ : ١٨٧ عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنها : أن قريشا أهمهم شأن المخزومية ، التى سرقت فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة الفتح ، فقالوا : من يكلم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالوا : ومن يجترىء عليه الا أسامة بن زيد حب رسول الله ، فأتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه فيها أسامة بن زيد ، فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أتشفع فى حد من حدود الله ؟ فقال أسامة : استغفر لى يا رسول الله .

فلما كان العشى — وقت اجتماع الناس بعد العصر — قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختطب فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم قال :

أما بعد فانما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه ، واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وانى والذى نفسى بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها . ثم أمر بتلك المرأة التى سرقت فقطعت يدها .

قالت عائشة : فحسنت توبتها بعد ، وتزوجت وكانت تأتينى بعد ذلك فأرفع حاجتها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وان ما تضمنه هذا الحديث الشريف من القضاء النبوى الكريم ، ومن بيان المبدأ الاسلامى العادل السامى العظيم ، وهو المساواة بين الناس ضعيفهم وقويهم ، وشريفهم ومشروفهم : لتعجز البشرية أن تأتى فى قضائها بمثله فى غير ظل الاسلام ، وليس هو حادثة فريدة فى بابها بل ان له أمثالا وأمثالا فى أقضية الرسول الكريم وأقضية أصحابه وأقضية قضاة العدل من علماء الاسلام .

اشهر القضاة فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم :

وقد استقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حياته الشريفة طائفة من أصحابه سادة هذه الامة وعلمائها ، فقاموا بالقضاء فى حضرته ، وقاموا به بعيدين عنه حيث وجههم اليه من بلدان الاسلام الجديد .

ومن الذين قضوا بحضرته : عمرو بن العاص ، وعقبة بن عامر الجهنى ، وحذيفة بن اليمان ، وعمر بن الخطاب ، ومعقل بن يسار رضى الله عنهم ، ويضيق المقام عن ذكر أخبارهم الدالة على ذلك .

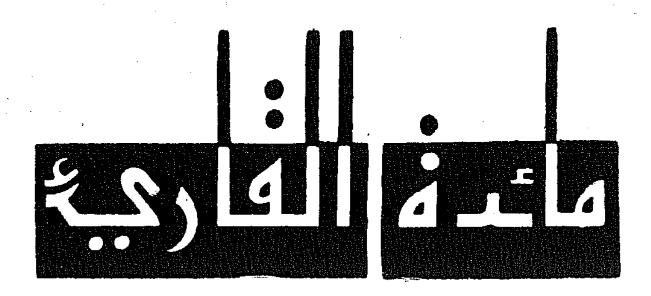
وقد كان هذا الاستقضاء من رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم فى حضرته الشريفة بمنزلة التمرين العملى على النهوض بأداء القضاء على وجهه ، وليشهدهم عليه الصلاة والسلام وهم يفصلون فى الخصومات بين الناس — بعد أن شهدوه صلى الله عليه وسلم يفصل فيها مرات ومرات — فيسددهم ان أخطأوا ، ويقرهم اذا أصابوا ، فكان ذلك تمرينا واختبارا لهم فى آن واحد .

ومن الذين قضوا بعيدين عن حضرته الشريفة عليه الصلاة والسلام : على بن أبى طالب ومعاذ بن جبل ، وعتاب بن أسيد ، وعمرو بن حزم الانصارى وأبو موسى الاشعرى رضى الله عنهم ، ولا يتسع المجال لذكر نماذج من أقضيتهم .

ويجب علينا ونحن نتحدث عن تاريخ القضاء فى العهد النبوى ، أن ننافح بالحق عن هذا الصحابى الجليل قاضى النبى صلى الله عليه وسلم أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه ، واسمه عبد الله بن قيس ، ونعرف به بعض الشىء ، فقد أشاع بعض الضعفة من أهل التاريخ والادب والاخبار ، ما يصوره كأنه من المغفلين البله ، حتى أضاع الخلافة والحق من أهله ، وجر على المسلمين ببلاهته — فى زعمهم وحاشاه — الويلات والمآسى .

فنقول وبالله التوفيق :

ان رجلا اختاره رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد البشر والانبياء والرسل ، ليكون قاضيا وأميرا على قطر واسع عريض وهو اليمن ، لا يمكن أن يكون كما زعمه أولئك الضعفة الغالطون ، فان هذا الذى زعموه ينقضه من أساسه — ولا أساس له — تولية رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى موسى على ذلك القطر السعيد بالاسلام الجديد ، ورسول الله سيد الرجال وأعرفهم بأفضل الرجال نطانة وزكانة وحزما وعلما ، وهو صلى الله عليه وسلم محفوظ أن يضع الولاية والامانة فى غير موضعها ، أو يكلها الى غير أهلها ، وهو الذى يقول كما روى البخارى فى « صحيحه » : اذا أسند الامر الى غير أهله فانتظر الساعة » .



أعدها : أبو نزار

حق عظيم

جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال له :

يا رسول الله اننى حججت بأمى من اليمن على ظهرى ، وطفت بها البيت وسعيت بها بين الصفا والمروة ، ووقفت بها فى عرفات ، ودلفت بها الى المزدلفة ، ورميت لها الجمار بمنى .. فعلت ذلك كله وهى عجوز لا حراك بها ، وأنا أحملها على ظهرى ، فهل أديت حقها ؟

فقال له صلى الله عليه وسلم : لا .

قال الرجل : ولم ؟

قال : لأنها فعلت ما فعلت بك فى صغرك وهى تتمنى حياتك .. وأنت فعلت ما فعلت بها وأنت تتمنى موتها .

من تاريخ الفتح الاسلامى

لما زحف شهاب الدين محمد بن سام الغورى على الهند ــ قاتله بتهورا ملك أجمير قتالا شديدا ، وانهزمت عساكر المسلمين هزيمة منكرة ، ورجعت الى لاهور ، واعتصمت بها ، وعاتب السلطان الامراء الغورية وأمراء خراسان الذين لم يثبتوا فى المعركة ، وعلق فى عنق كل واحد منهم عليق شعير ، وقال : أنتم دواب . ما أنتم أمراء .. وسار الى غزنه عاصمة ملكه يعد العدة للكرة بعد الفرة . وظل السلطان لا يهنأ له طعام ولا شراب ولا يحلو له نوم ولا راحة . ثم ركب فى جيش عظيم ، ولم يستشر فى ذلك أحدا ، ولما سأله أحد الامراء عن قصده ــ تنفس الصعداء ، وقال :

اننى لم أنم على فراشى منذ لقيت الهزيمة من أمراء الهند ، ثم حسر قباه وقال : ترى أننى لم أغير ثيابى منذ ذلك اليـــوم ، وقال : اننى لم أر وجه هؤلاء الامراء الذين خذلونى فى الميــدان ، وأسلمونى للعدو وقال يخاطب جيشه :

انه يتحتم علينا نحن المسلمين أن نغسل العار الذى لحق الاسلام والمسلمين ، وأن ننفض عنا غبار الهزيمة التى لقيناها فى العام الماضى .

فرضعوا أكفهم على السيوف ، وأطرقوا رؤوسهم سمعا وطاعة ، ثم توجه الى الهند ، وبعث برسالة الى بتهورا يدعوه الى الاسلام والطاعة وأخذته العزة بالاثم ، فحمل عليه السلطان حملة شديدة وانتصر انتصارا باهرا ، وتأسست الحكومة الاسلامية فى الهند التى دامت فى أشكال مختلفة أكثر من سبعة قرون .

أخلاق أبى حنيفة

سأل هارون الرشيد أبا يوسف قاضى القضاة فى عهده عن أخلاق الامام أبى حنيفة ، فقـــال أبو يوسف :

كان والله شديد الدفاع عن حرمات الله ، مجانبا لأهل الدنيا طويل الصمت ، دائم الفكر ، لم يكن مهذارا ولا ثرثارا ــ ان سئل عن مسألة كان له فيها علم أجاب ــ وما علمته يا أمير المؤمنين الا صائنا لنفسه ودينه ، مشتغلا بنفسه عن الناس ، لا يذكر أحدا الا بخير .

فقال الرشيد : هذه أخلاق الصالحين .

« الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خيرا الزاد التقوى واتقون يا أولى الالباب » .

(قرآن كريم)

ديوانه .. ديوانه

وقف سـعد بن ابى وقاص أمام (المدائن) ولم يجد شيئا من السفن وقد زادت (دجلة) زيادة عظيمة ، واسود ماؤها ، ورمت بالزبد من كثرة الماء بها ، فخطب سعد الجيش على الشاطىء ، وقال : الا انى قد عزمت على قطع هذا البحر اليهم .

فقالوا جميعا : عزم الله لنا ولك على الرشد فافعل .

ثم اقتحم بفرسه دجلة ، واقتحم الناس لم يتخلف عنه احد ، فساروا فيها كانما يسيرون على وجه الارض ، حتى ملأوا ما بين الجانبين فلا يرى وجه الماء من الفرسان والرجالة ، وجعل الناس يتحدثون على وجه الماء كما يتحدثون على وجه الارض ، فلما رآهم الفرس يطفون على وجه الماء قالوا : (ديوانه .. ديوانه) يقولون : مجانين . مجانين . ثم قالوا : والله ما تقاتلون انسا ، بل تقاتلون جنا .

جحا العاقل

شكا انسان شدة البرد ، فسمعه آخر ، فقال : الناس أمرهم عجب : اذا اقبل الشتاء شكوا من البرد ، واذا اقبل الصيف شكوا من الحر !!

فقال جحا : ولكن هل سمعت احدا يشكو من الربيع .

وسئل يوما : أيهما أكبر : السلطان أم الفلاح ؟ فقال : الفلاح أكبر لأنه لو لم يزرع القمح لمات السلطان جوعا .

وقال له أحد البخلاء : انك تحب المال ، فقال : انما أحببته للاستغناء عن البخلاء الذين لا قلوب لهم .

حامل الحقيبة

نزل المسافر من السيارة ، ووضع حقيبته بالقرب منه وانتظر حضور أحد الحمالين ، فجاء لص وحملها ، ومشى ، فتبعه صاحب الحقيبة وهو فرحان ، فلما اقترب من منزله أخذ الحقيبة من اللص ، وقال له : اشكرك ياسيدى ، فقد حملت حقيبتى من غير أجر .

راس الجندى

لاحظ الضابط على أحد الجنود أنه لا يعرف يمينه من شماله فقال له : انتبه جيدا وفكر بعقلك . لماذا خلق الله لك راسا ؟.

فقال الجندى : خلق الله راسى لألبس فوقه الطربوش .

عندما يشاء



المستضعفون

للأستاذ : عبداللطيف فايد

انقضت عدة أشهر على العهد الذى أمضاه النبى مع قريش عند الحديبيـــة ، واطمأنت نفوس المسلمين الى أن العاقبة لهم على الرغم من الشروط القاسية التى أملتها قريش فى هذا العهد ..

فقد جاءوا من حول النبى الى مكة زائرين للبيت الحرام بعد ست سنوات من هجرتهم الى المدينة فارين بدينهم تاركين أموالهم وديارهم وكل ما يملكون فى سبيل العقيدة التى آمنوا بها واستقرت فى قلوبهــم ، وحتى ينجو كل منهم من أذى يلحقـــه بسبب ما شرح الله صدورهم اليه من الدعوة التى جاء بها محمد تخرج الناس من الظلمات الى النور ، وتهدى الى الحق والى طريق مستقيم ... لا معبود الا الله .. الناس كلهم سواسية .. لافضل لعربى على أعجمى ولا لأبيض على أسود الا بالتقوى والعمل الصالح ..

وما لمعتنق هـــذه العقيدة أن يلقى نكرانا أو اضطهادا ، أو يطرد من أرضه ويحرم من الأهل والمال والولد .. لكن ظلم المشركين من قريش يأبى على هذه الجماعة ما اعتنقت من دين ، وما عمرت صدورها من مبادىء تسخر من ظلمات يعيش فيها الانســـان ، فاتخذوا لصاحب الدين الجديد ولاتباعه كل مرصد ، حتى يتركوا عبادة اللــه الواحد الأحد الى عبادة أصنام لا تضر ولا تنفع ، ولا تمنع عن نفسها أذى ولا ترد كيدا .. ولــقى النبى والمؤمنون بدعوته أذى لا يحتمله الا من تمكن الايمان من قلبه تمكنا يهون معـــه أى عذاب .. وكلهم مؤمنون ..

ثلاثة عشر عاما قضوها فى مكة بعد نزول الدين الجديد على محمد ، ينالون من تعذيب قريش وأذاها ما ينالون ، وتحملوا فى صبر تحدث به التاريخ عنهم فى فخر واكبـــار لم يسبقهم اليه أحد ، ولن يدركهم بمثله دعاة مبدأ أو مذهب .. حتى كانت هجرتهم الى المدينة التى حققت لهم المنعة والعـــزة ، وألفت من حولهم قلوبا هفت الى دين الله وانضمت الى حزبه ، داعية اليه ، محاربة فى ســبيله ، لا يردها عدوان أثيم ، أو تحزب متجبر .. ليس أمامها الا احدى اثنتين أن ينصرها الله على عدوها أو تنال الشهادة فى ميدان القتال فتظفر بالجنة التى وعد الله بها المتقين .

× × ×

سار هذا الركب الكريم من المدينة الى مكة بعد انقضاء السنوات الست يقصد أصحابه بيت الله الحرام فى شهر حرام ، ليطوفوا بالبيت العتيق الذى جعله الله مثابة للناس وأمنا منذ عهد ابراهيم عليه السلام .. لا حرب فيه ولا قتال ولا شحناء .. كل من يدخله أمن على نفسه من الغدر أو الوقيعة ... وقد فتح هذا البيت أبوابه منذ اقام دعائمه أبو الأنبياء ابراهيم لكل قاصد اليه ، لا يصد عنه ولا يمنع حاج .. وحط الركب رحاله عند الحديبية عندما ابصر المشركين — وقد طارت اليهم انباؤه — يضربون من حول مكة نطاقا منيعا من الفرسان والمشاة ليمنعوا محمدا وأصحابه من حج بيت الله الحرام وان كان دون ذلك القتال ، لا تمنعهم حرمة البيت الحرام ولا الشهر الحرام ، وعندهما تضع كل حرب أوزارها ، وعلى هذا سنة العرب من لدن ابراهيم عليه السلام ..

ركبت قريش راسها وجمعت رجالها للموقعة المرتقبة .. كيف يهاجر محمد وأصحابه من مكة ضعافا لا حول لهم ولا قوة ، تاركين أموالهم وديارهم الى يثرب ثم يعودون ليقتحموا عليهم مكة من جديد .. لو حدث ذلك لتمرغت فى التراب سمعة قريش وانحط كبرياؤها ولم يستطع السادة منها أن يرفعوا رءوسهم بين العالمين ، ولانتصر عليهم من أرادوا أن يهزموه .. هذا لن يكون ، ولو كان سببه حج البيت الحرام وأداء سنة ابراهيم ..

لكنها على الرغم من كبريائها الظالم كانت قلوب سادتها ترتجف من هذا الزحف المؤمن الذى باع نفسه لله ، وقد شهدت بلاءه واستماتته فى النضال عن عقيدته منذ يوم بدر وما تلاه من أيام خالدة فى تاريخ الكفاح المؤمن فأرسلت الى النبى رسلها تطلب اليه أن يعود من حيث أتى .. وتكرر تأكيد النبى لكل رسول بعثت به قريش انه لم يات لقتال وانما جاء حاجا للبيت الحرام .. وتكرر اصرار قريش على العناد حتى بعث النبى عثمان بن عفان الى أبى سفيان وأشراف قريش كى يبلغهم ما جاء من اجله ويحمل اليهم قوله الكريم عندما بركت ناقته على أرض الحديبية ((لا تدعونى قريش الى خطة يسألونى فيها صلة الرحم الا أعطيتهم اياها)) .. وعاد عثمان بعد ثلاثة أيام وقد أزال من نفوس قريش ما ظنته من أن محمدا اتخذ من سعيه للحج حيلة يغير بها على قريش فى معقلها ، وهى لا تملك أن ترد أحدا من العرب عن الحج والعمرة فى الأشهر الحرم .. لكنها أبلغت عثمان أن ذلك لو حدث لضاعت كبرياء قريش الى الأبد ولن تقوم لها بعد اليوم قائمة ، وقد أصرت على الدفاع عن هذه الكبرياء بالحرب اذا لم تجد لنفسها مفرا منها .. ومع هذا الاصرار خطوة الى الوراء .. فهذا الموقف مقصور على هذا العام فقط ، ولا مانع من الصلح عليه ..

وبعد أيام استقبل النبى ((سهيل بن عمرو)) رسول قريش للصلح على العودة الى المدينة ... جاء يحمل مزيجا من انفة قريش وتراجعها ... وجاءت شروط الصلح تقضى بالهدنة بين محمد وأصحابه وبين قريش لمدة عشر سنوات لا يقوم فيها قتال ، وأن يعود وزحفه عن مكة هذا العام على أن يدخلها حاجا فى العام القادم ويمكث بها ثلاثة أيام يؤدى وأصحابه مناسك الحج ويطوف بالكعبة والبيت الحرام .. ومع هذه الشروط وغيرها شرط آخر لم تحتمله نفوس المسلمين أول الأمر : ((من جاء الى محمد مسلما دون اذن وليه فلقريش حق اعادته الى معسكرها ، أما من رغب عن محمد راجعا اليهم فليس لمحمد مثل هذا الحق)) .. ووافق النبى حقنا للدماء ، واستطاع أن يهدىء نفوس أصحابه الغاضبة الثائرة مؤكدا لهم أن نصر الله قريب وأن من وراء ذلك الفتح المبين وعدهم الله اياه ..

ولم يكد يطول بهم طريق العودة حتى امتلأت نفوسهم غبطة بما أنزل الله على نبيه : ((انا فتحنا لك فتحا مبينا . ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما)) الى آخر سورة الفتح التى تحمل البشرى لركب المؤمنين بالفتح المبين كما تعلن رضاء الله عنهم حين بايعوا النبى على الموت فى سبيل الله اذا لم يكن بد من لقاء قريش فى حرب : ((لقد رضى الله عن المؤمنين

اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فانزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا » ..

× × ×

وانقضت على هذا العهد عدة أشهر ... واطمأنت نفوس قريش بما حققت .. الا أن قلبا كبيرا بين رجالها لم يهدأ له نوم ولا يقظة ، يعيش أيامه قلقا مهموما ، فقد تفتحت نفسه للايمانَ بالدين الجديد الذى يقوى مع الايام .. كيف اذا أعلن الانضمام اليه وأخذ مكانه فى صفوف المؤمنين أن يسلمه النبى الى معسكر الكافرين يؤذونه ويشـــمتون به ويوقعون به التعذيب والتنكيل .. كان صاحب هذا القلب هو « أبو بصير .. عتبة بن أسيد بن جاريه » .. عاد الى مكة من مجلس الصلح والهم يأخذ عليه كل جوانب نفسه ، ولا يزال يذكر ما وقع لصاحبه « أبى جندل بن سهيل بن عمرو » حينما لجا الى النبى بعد توقيع الصلح يستنجده من أذى أبيه وقد شرح الله صدره للاسلام فرده النبى الى أبيه يضرب وجهه ويدفعه أمامه وصيحاته تستغيث بالمسلمين أن يمنعوه من الأذى ، والا يتركوه لقريش تفتنه فى دينـــه الذى هداه الله اليه .. ولم يزد النبى على ان قال له : « يا أبا جندل .. اصبر واحتسب فان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين مخرجا .. انا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا وأعطيناهم وأعطونا عهد الله وانا لا نغدر بهم » .

« أبو بصير » لا يزال يذكر ذلك ، ونفسه موقنة بانه لا مكان للمؤمن بين الكافرين المتجبرين الذين لا يحترمون حرية العقيـــدة ولا تبصر عيونهم ولا قلوبهم نور الايمان .. كيف اذن يعيش بينهم ويؤدى فرائض دينه ، ومن لـــه بينهم يفقهه فى الدين ويتلو عليه الآيات التى يهبط بها الوحى من عند الله الى رســـوله الكريم ... وأزمع فى نفسه أمرا ..

فى هداة ليل ودع أهله وعياله وماله واتخذ طريقه الى المدينة عسى أن يقبله النبى ويمنعه .. ودخل أبو بصير المدينة وهـــذا الامل يداعب قلبه ، ولما بلغ مجلس النبى القى بين يديه امله .. لكن اخبار أبى بصير كانت قـــد تسربت الى قريش فارسلت الى النبى فى طلبه وبعثت اليه باثنين من رجالها يلازمان أبا بصير فى رحلة العودة الى مكة نفاذا للعهد الذى التزم به لهم .. فقال النبى : « يا أبا بصير ، انا قد أعطينا هؤلاء القوم ما علمت ، ولا يصح لنا فى ديننا الغدر ، وأن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا فانطلق الى قومك .. » فيكرر أبو بصير رجاءه الى النبى قائلا : يا رسول الله ، أتردنى الى المشركين يفتنوننى فى دينى .. ولكن النبى يؤكد انه لا يغدر بعهد ، وان الله سيجعل له وللمستضعفين فرجا ومخرجا ..

وسار أبو بصير مع حارسيه راجعا الى مكة ينتظر تحقيق الفرج .. ومع ايمانه بذلك فانه يدبر أمره ، والله يعينه عليه .. وعلى الطريق الطويل بين المدينة ومكة كان الثلاثة يتفيأون ظلال أشجار كلما اشتد قيظ الهاجرة يستريحون من جهد المسير ، ويعرجون الى عيون الماء يستسقون منها ما يطفىء ظماهم وسط الصحراء حتى كانت الجلسة الأخيرة تحت شجرة حدباء وبالقرب منها بئر ليس من حولها طلاب سقيا .. انهم الآن داخل نطاق مكة .. فى الحديبية .. نفس المنطقة التى شهدت الصلح بين النبى وبين قريش ، ذلك الصلح الذى يعود بشروطه الى الكافرين بعد أن هداه الله الى الايمان .. لكنه وهو الآن فى أرض مكة قد عاد الى ديار قريش ، وهو أن دبر لنفسه أمر الفرار من حارسيه فى هذا الوقت الـــذى انقطع المستسقون عن البئر يكون قد أوفى عهد النبى لقريش ..

وفى نفس هذا الوقت كان أحد حارسيه وقد اطمأن الى انه فى دياره وغير بعيد من قومه تراوده نفسه أن يشمت بأبى بصير بعد أن أصبح قاب قوسين أو أدنى من عمليـــات تعذيب كبرى بين المتعصبين من قريش ضد دين محمد ومن يتبعون هذا الدين .. فأخرج سيفه يرهب به الرجل المؤمن ويلقى الخوف فى قلبه من مصير ينتظره .. وأدرك أبو بصير ما يدور فى نفس حارسه ، ولم يتركه يبدأ الحديث .. وشهدت ظلال الشجرة الحدباء حوارا بين الرجلين : قال أبو بصير :

— انى أرى فى سيفك هذا مـلامح جودة معدنه وصقل صناعته ..

— هو كذلك أيها التابع الجديد لمحمد ..

— دلنى على من صنعه لك ، لعلى التمس عنده سيفا مماثلا ..

— وماذا تصنع به ؟ !

— العربى يعتز بحمل السيف الجيد ، ولو كان لغير قتال ..

— لا تتمن ذلك أيها التابع الجديد لمحمد ، فبعد مسيرتنا الباقية الى عمران مكة سيطير رأسك فى الهواء بضربة واحدة من هذا السيف ولن تنفعك الأمانى .. وبعد أن تموت سيأتى وقت لهذا السيف يضرب يمينا وشمالا داخل يثرب فى رقاب الذين سبقوك الى الايمـان بمحمد والكفر بآلهة قريش ..

— ولكنى أعجب بسيفك هذا بالرغم مما تتوعدنى .. من الذى صنعه لك ؟ .

— لقد ورثته عن جدى الذى كان يهوى القتال به ، انه سيف بتار لا يكلف حامله جهدا كبيرا فى الاطاحة برءوس أمثالك ..

— اذا هو سيف فائق الجودة ..

— انه كذلك

— هل لى أن أتأكد مما تقول ؟

— خذ .. احمله فى يدك لترى ثقلـه ، واضرب باصبعك عليه لتختبر جودة حديده ، وأمرر راحتك على حده لتطمئن الى مضائه فى قطع الرقاب ..

والتقط أبو بصير السيف ، وفى لمح البصر كانت عنق هذا الحارس قد طارت فى الهواء بضربة واحدة من يمين المؤمن الجديد ... وفكر الحارس الثانى بسرعة خاطفة وأطلق ساقيه للريح عائدا الى المدينة يشكو الى محمد فعلة صاحبه ، وأبو بصير يعدو وراءه عسى أن يظفر به .. ووصلا الى النبى — فقال أبو بصير : يارسول الله ، وفت ذمتك ، وأدى الله عنك .. أسلمتنى بيد القوم ، وقد امتنعت بدينى أن أفتن فيه أو يعبث بى .. أنا ما عدت حتى بلغت ديار القوم فدعنى وشأنى .. فأعجب النبى به ، وتمنى لو كان معه رجال ينصرون خبرته القتالية فى مكان فسيح .. وقال له : « يا أبا بصير .. اذهب حيث شئت » وكان هذا القول اشارة صريحة الى المؤمن الجديد بانه يملك الحرية فى عدم العودة الى مشركى مكة ، فشرط الصلح لم يعد يحتمل رده مرة أخرى الى ديارهم ..

× × ×

وانطلق أبو بصير فرحا بهذه النتيجة التى حررته من قبضة الكافرين ، وهو بعد ذلك لا يعجزه أن يضرب فى الارض أيا كان المصير ، ما دام قد نجا بدينه ينطلق لسانه بكلمة التوحيد غير خائف من أن يتسمع عليه أحد المشركين فيوشى به الى الذين يتولون تعذيب المؤمنين بالله الواحد الأحد المصدقين برسوله الـذى أرسله الله رحمة للعالمين ..

فى سبيل الله هذه المسيرة الطويلة التى قطعها أبو بصير على رمال الصحراء باحثا عن ظل يفىء اليه أو بئر يجد فيها جرعة ماء تطفىء ظمأ من اشـــتدت عليه حرارة الصحراء ..

ولكن أبا بصير يفكر .. الى أين سينتهى به المسير .. وينقذه من هذا التفكير صدى كلمة قالها له النبى « ان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا » ... وها هى ذى قدماه تصلان بمسيرته الى طريق ممهد .. هنا علامة للحياة .. أقدام السائرين وأخفاف الابل تترك بصماتها على الطريق .. ولكن من أين يبدأ هذا الطريق والى أين ينتهى .. وبذكاء العربى أدرك أن الطريق لقوافل التجارة بين مكة والشام قريبا من البحر ، وأنه غير بعيد من مكان يسمى « العيص » .. وفكر كثيرا .. لقد اضطره عناد قريش وكفرها الى أن يترك داره وأهله وماله ويفر بدينه .. وما الدين الا هداية ورشاد للانسانية .. هو على الحق وهم على الباطل ، ومع ذلك فقد الدار والاهل والمال ، فالمشركون فى مكـة يمثلون دور الغاصب لكل ذلك .. ماذا عليه لو هاجم قوافلهم الذاهبة الى الشام بالتجارة أو العائدة الى مكة بما حملت لتبيع فى أسواقها واستولى منها على ما يبقى فى جسده نبض الحياة حتى يستمر لسانه فى ترديد كلمة التوحيد التى يؤمن بها قلبه وتفيض على روحه طمأنينة وأمنا .. انه لو فعل ذلك لما كان معتديا على أحد فهو يسترد حقه فى ماله الذى حرمته منه

قريش ، وتركته هكذا هائما فى الصحراء ، فلا هو يستطيع الذهاب الى المدينة يمتنع فيها بقوة المهاجرين والانصار ، ولا هو بقادر على العودة الى مكة ليستأنف بين ديارها حياة العمل ويستمتع بحرية العقيدة ..

x x x

الوقت ليل .. والهدوء يسود المكان .. ونجوم السماء ترسل ضـوءا خافتا لا يكاد يستوضح من خلاله عن بعد صور الرائحين والغادين .. لكن صوتا ينساب الى أذنيه من بعيد ، ويدنو منه الصوت شيئا فشيئا ، ويدرك أنه صوت حادى الابل .. لا بد أن قافلة فى الطريق .. وعليه أن يبدأ تنفيذ ما فكر فيه .. واختبأ خلف صخرة عالية ومن جانبها ترقب عينه بداية قربها منه .. وترك القافلة تقطع الطريق .. خمسون جملا أو تزيد مرت حتى الآن بعضها فى اثر بعض محملة بمواد التجارة متجهة الى مكة ولا يزال فى القافلة مزيد من الجمال .. وظل ينتظر حتى أوشكت القافلة أن تمر كلها من أمامه .. لم يبق فيها الا خمسة جمال وحارسان .. فقفز اليها شاهرا سيفه وأخذ الحارسين على غرة فقتلهما وفصـــل الجمال الخمسة عن بقية القافلة .. وأحس بقية الحراس الذين مضوا أن شيئا غير عادى قد حدث ، ولكنهم لم يفكروا طويلا فأخذوا يضربون أعجاز الابل لتسرع فى السير .. لا بد أن عصابة تقطع عليهم الطريق لتأخذ ما حملت الابل من خيرات الشام التى تصنع الرواج فى أسواق مكة .. وبعد ليلتين أو ثلاث ترصد أبو بصير لقافلة ثانية .. فثالثة .. وفى كل مرة تقوم بينه وبين حراسها معركة يكتب الله له فيها النجاة والنصر والرزق .. ولم يلبث حراس القوافل وأصحاب التجارة أن اكتشفوا حقيقة أمره .. انه أبو بصير ..

وحملت أنباء القوافل العائدة الى مكة هذا الخبر الى مجالس قريش ونواديها .. فعزمت على الكيد له وقتله ان تعرض لهذه القوافل واتخذت لذلك عدتها بتزويد حراس القوافل بكثير من السيوف والرماح ..

x x x

لكن المستضعفين الذين شرح الله صدورهم للاسلام فى مكة ويخشون الجهر به بين قومهم ولا يستطيعون الذهاب الى المدينة والانضمام لصفوف سابقيهم الى الايمان خشية أن يعيدهم قومهم اليهم كما نصت شروط صلح الحديبية ، وجدوا لانفسهم مخرجا مما يعانون من كبت فخرجوا بليل واحدا فى أثر واحد .. كل يحمل سيفه ورمحه الى المكان الذى يربض فيه أبو بصير يعلنون الانضمام اليه ويشاركونه هـذا الضرب فى الجهاد فى سبيل الدين والحياة ، واتخذوه اماما لهم فى صلواتهم وقائدا لهجماتهم على قوافل قريش ، وهم حين يفعلون ذلـك يكسرون شوكة قريش بتدمير تجارتها التى تجمع منها الأموال لحرب النبى والذين آمنوا معه ، ويثأرون لاخوانهم المهاجرين الى المدينة تاركين أموالهم وديارهم فى مكة نهبا للمشركين ..

وهناك فى مكة ، كان « أبو جندل بن سهيل ابن عمرو » يحرقه الشوق الى أبى بصير ورفاقه ، فأخذ يجمع من حوله اخوانه الذين يكنون ايمانهم خوفا من قريش وينتظرون فرج ربهم .. لقد كان على الرغم من بطش قريش وسطوتها وتنكيلها بكل من يظهر الايمان بمحمد، يسعى اليهم تحت أستار الليل ويسعون اليه يتدارسون آيات من القرآن الكريم ، ويتفهمون تعاليم النبى ، ويؤدون صلواتهم الى اللـه بعيدا عن العيون التى تترصد حركاتهم مؤمنين بأن الشر مهما اشتد سلطانه ، وأن الظلم مهما قويت شوكته فان يوما قريبا سيأتى يخفق فيه علم الحق عاليا وتندثر دولة الجبروت والطغيان ويتحقق نصر الله القوى العزيز ..

ان « أبا جندل » لا يزال يذكر يوم صلح الحديبية حين انضم الى صفوف النبى فاسترده أبوه وهو يركله ويضرب وجهه ، ولم يملك النبى وقتها الا أن قال له « يا أبا جندل .. اصبر واحتسب فان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين مخرجا ، انا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا وأعطيناهم وأعطونا على ذلك عهد الله وانا لا نغدر بهم .. »

لقد تجمع الآن من حوله نحو سبعين مؤمنا من صحابه .. كل منهم يملك ايمانه ويعتز به

ويعاهد نفسه على النجاة به والدفاع عنه .. وكانت وجهتهم ذلك الحشد من المؤمنين الذين التفوا من حول أبى بصير وفكرته .. وقوى الله الجبهة المؤمنة فى غاراتها على تجارة قريش ، وبدلا من أن تكون غنائمها من قوافلها بعض ما تحمل ابلها أصبحت هذه الغنائم تزيد يوما بعد يوم لتهدد القوافل كلها فلا ينجو منها أحد ، وغدت تجارة مكة يهددها الفناء ، وهى عصب حياتها والعامل الاول فى رواج أسواقها ..

× × ×

وانعقد مجلس السادة من قريش وأصحاب الكلمة فيها يتشاورون فى رد هذه الغائلة عن قوافلهم .. ماذا يصنعون ..

وارتفعت الاصوات فى المجلس :

واحد يقول : نضع فى حراسة كل جمل اثنين أو ثلاثة من الرجال الاشداء المسلحين ، فاذا تعرضت قافلة للاغارة استطاعوا الدفاع عنها والنجاة بها ..

فيرد عليه آخر يسفه رأيه : اذا ستخرج مكة كلها وراء قافلتين أو ثلاث وتبقى الديار كلها بدون رجال لقمة سهلة لغزوة من غزوات محمد وصحبه تسقط فيها مكة بدون قتال ، وعندئذ لا تستطيعون اخراجه منها بعد أن كثر أتباعه والمؤمنون بدينه ..

ويجمع المجلس على استبعاد هذا الرأى ..

فيقول ثالث : نرسل الى محمد رسلنا يطلبون منه أن يمنعهم من التعرض لتجارتنا ..

ولكن صوتا يرتفع مسفها هذه الفكرة .. يقول : لقد أخذتم العهد على محمد أن يرد اليكم من يذهب اليه مؤمنا ، وما ذهب اليه أحد بعد أبى بصير .. انه سيقول لرسلكم : عهدكم نافذ .. أما هؤلاء الذين يترصدون تجارتكم على الطريق فليس لى عليهم من سلطان

يظهر رأى جديد من أحد سادة قريش .. انه يرى لدفع هذا الخطر أن تجهز قريش جيشا يزحف الى هؤلاء الناس فيقاتلهم ويبدد جمعهم حتى يتحقق الامان للتجارة فى غدوها ورواحها ..

فينطلق صوت آخر : بئس هذا الرأى .. لقد كان أبو بصير ورفاقه يعدون فى أول الامر بالعشرات ، وكانوا أصحاب قدرة نافذة فى الاغارة على القوافل ، والآن يبلغ عددهم ثلاثمائة أو يزيد ، باعوا أنفسهم لاله محمد ، فان التقيتم معهم فى قتال فانى أخشى عليكم من العاقبة .. لا يغرنكم أن عددهم قليل فى مواجهة الجيش الكبير الذى تستطيعون اعداده فقد بلونا من أصحاب محمد كثيرا فى يوم بدر .. كانوا ثلاثمائة وكنتم ألف مقاتل ، ولكنهم انتصروا عليكم ، ويوم أحد انكشفت صفوفكم بعد ضرباتهم الاولى فى أعناقكم ، ولولا أن جماعة من أتباع محمد خالفوا أمره وتركوا مواقعهم على الجبل لما تمكنتم من هزيمتهم .. ثم الا تذكرون يوم أن جمعتم الأحزاب من حول يثرب تحاصرونها للقضاء عليه ووقع فى خندقه فرسانكم وأبطالكم ، ومن رضى من رجالكم بالمبارزة كان مصرعه بضربة واحدة من سيف أحد المسلمين حتى لحق بكم العار .. وسراياه .. هل نسيتم ؟ ! .. ابحثوا يا قوم عن مخرج أمين تسلم به تجارتكم وتنجو حياتكم ..

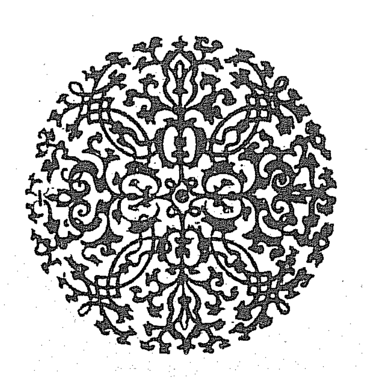
وتثور الضوضاء فى المجلس .. هذا يقول انه جبان .. وآخر يصل الحديث : ويريد أن يلصق الجبن بأهل مكة كلهم ليصيروا أمثولة العرب .. ويقول ثالث : انكم جميعا تجيدون الحديث من غير طائل .. ورابع وخامس وسادس .. ثم يهدأ مجلس السادة والاشراف من أهل مكة .. ويطرح أحدهم رأيا .. الحل الوحيد هو أن تعلنوا تنازلكم عن الشرط الذى قيدتم به محمدا يوم الحديبية فى اعادة من يذهب اليه مؤمنا ليقيم معه بالمدينة ولا يذهب

الى طريق القوافل يغير عليها .. وليس عليكم أن يزيد أتباعه هناك ، فقد أخذتم عليه عهدا بوقف القتال بينكم وبينه عشر سنوات لا تغيرون عليه ولا يغير عليكم .. فمن صبأ بعد اليوم وآثر الذهاب اليه فلن يكون منه خطر على تجارتكم طوال هذه السنين ، ثم تطلبون اليه أن يستقدم اليه المؤمنين به الذين يعسكرون على ساحل البحر فى طريق تجارتكم فيأمن الطريق وتغدو تجارتكم وتروح لا يتعرض لها أحد . ويعود الى أسواقكم نشاطها بعد أن هددها الكساد ..

وتميل رءوس السادة والاشراف من قريش فى همهمة وهمس .. وبدا على وجوههم الاقتناع ، فليس أمامهم بد من ذلك .. فالايمان الذى تمكن من نفوس المستضعفين وقلوبهم بعث فيهم قوة تحمل فى قبضتها مصير قريش وتهدد حياتها ، ولم تنفع معه شروط ثقيلة كبلت محمدا وأصحابه يوم الحديبية ..

× × ×

وجاءت رسل قريش الى النبى ترجو قبول ما يعرض سادتها وأشرافها .. وقبل النبى الرجاء .. وأسرع جماعة من أصحابه الى المستضعفين يعلنون اليهم أن الله قد حقق لهم الفرج وجعل لهم مخرجا .. وفى الوقت الذى وصل اليهم فيه أمر النبى بالقدوم الى المدينة كان أبو بصير يسلم الروح بعد مرض اشتد عليه فاستبشرت روحه بنصر الله ... وفى نفس موقعه وسده أصحابه الثرى ، وانطلق ركبهم الى المدينة لينضموا الى أخوان لهم هناك يدعمون قوتهم وبأسهم استعدادا ليوم الفتح المبين ..



تنويه

صورة الغلاف الامامى للعدد الماضى من تصوير السيد محمد باقر حبيب بالتلفزيون الكويتى فلزم التنويه



تحتل ادارة الشئون الاسلامية بوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية مركزا هاما بين الادارات الاخرى وقد اسندت ادارتها للاستاذ عبد الله العقيل احد علماء الازهر البارزين ، وقد وجد فى هذا العمل مجالا واسعا لنشاطه الملحوظ وحميته الاسلامية ، وتمشيا مع اهداف الوزارة فى نشر الدعوة الاسلامية فى معظم انحاء العالم فقد اعدت هذه الادارة منهجا للعمل قامت بتحقيقه خلال السنوات الماضية فعملت على تقوية روابط الاخوة الاسلامية مع الشعوب والجاليات الاسلامية فى افريقيا وآسيا والبلاد المختلفة وعملت على ايجاد فكر اسلامى واع منقى من الشوائب التى علقت به بتأثير الفلسفات والثقافات والظروف المختلفة التى عاشها المسلمون كما أشرفت هذه الادارة على اقامة المواسم الثقافية التى يحاضر فيها عدد كبير من رجال الفكر الاسلامى من أجل نشر الوعى الدينى بين المسلمين .

وفى مجال احياء التراث الاسلامى اخذت على عاتقها فيما اخذت من المهمات الاسلامية نشر ما يكون فى بعثه ونشره من التراث الاسلامى العلمى نفع كبير ، او احياء لأثر مجيد يهدده الضياع أو عون على طريق جديد فيه تبصرة وتوعية للمسلمين فى تأسيس المفاهيم الصحيحة عن الاسلام فى نفوسهم وعقولهم او بعث للقيم الخالدة فى شريعتهم .

الفوائد في مشكل القرآن
الجمان في تشبيهات القرآن
مختصر صحيح مسلم

واحياء التراث الاسلامى والادبى والعلمى من مخطوطات نادرة تركهـا السلف الصالح والتى تبلغ على اقل تقدير ثلاثة ملايين مخطوط يعتبر من الأعمال المجيدة التى يجب على الدول الاسلامية والعربية أن تتبناها وتبذل كل ما فى وسـعها فى سبيل تحقيق النفيس من هـذه المخطوطات ، وقد تنبه العرب والمسلمون فى العصر الحديث الى ضرورة احياء هذا التراث الخالد ، ولا تزال تبذل جهود كبيرة فى هذا الصدد .

ففى القاهرة يعنى بهذا الامر الى جانب دور النشر الكثيرة العدد وزارة التربية ثم وزارة الثقافة والارشاد ودار الكتب المصرية وهى أول من بدأ بذلك من المؤسسات والجمعية التاريخية المصرية ومعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية .

أما فى دمشق فأول من عنى بهذا الامر هو المجمع العلمى العربى وكان للاستاذ الجليل محمد كرد على سيد النهضة العلمية بالشام الفضل الادبى فى ذلك وقد نشر المجمع آثارا جيدة مفيدة تعد مصادر ذات شأن ، ثم جاءت وزارة الثقافة السورية أخيرا لتسهم فى النشر .

ويلى القاهرة ودمشق بغداد فقد بدا المجمع العلمى فيها بنشر النصـوص وساعد على نشرها وما نشره جيد ولكنه قليل بالنسبة لمـا يؤمل منه .

وفى بيروت أخذت جامعة بيروت اللبنانية بنشر نصوص مفيدة تتعلق بتاريخ لبنان .

وظهر نور جديد فى السـنوات الاخيرة فى الكويت اذ اخذت وزارة الارشاد والانباء فى تقديم سلسلة من المخطوطات باسم (التراث العربى) بينما اتجهت وزارة الاوقاف والشئون الاسـلامية فى تقديم سلسـلة أخرى من المخطوطات باسم : (التراث الاسلامى) .

فاذا انتقلنا من المشرق العربى الى المغرب العربى لم نجد نشاطا ملموسا او انتاجا يذكر فى هذا المضمار ولولا ما نشرته وزارة التربية القومية والشباب والمعهد القومى للآثار بتونس وكلية الآداب وكلية الصيدلة فى جامعة الجزائر ومعهد الدراسات العليا فى الرباط ومعهد مولاى الحسن بتطوان لما ذكرنا شيئا .

وينبغى أن نذكر كذلك أن جامعة الخرطوم بالسودان كانت قد بدأت بنشر بعض النصوص ولعلها تمضى فى ذلك .

وبنظرة خاطفة لكل ما حقق من مخطوطات فى تلك البلاد نجد أن الكثير من هذه النصوص التى طبعت يحتاج اليها العالم العربى وتفيد فى استجلاء وجوه الحضارة الاسلامية العربية .

ونلاحظ فيما نشر وفرة النصوص الادبية واللغوية ويلى ذلك النصوص التاريخية والتراجم وقد زادت العناية بالنصوص الفلسفية فى هذه الفترة .

أما المخطوطات الاسلامية فكان نصيبها القليل من التحقيقات . لذا اهتمت ادارة الشئون الاسلامية بالتراث الاسلامى وانفردت عن غيرها من الهيئات بالعناية بالثقافة الاسلامية فى منابعها الاولى وتخريجها للناس فى اثواب قشيبة ميسرة وتحقيقا لهذه الغاية قامت بنشر الكتب المتصلة بعلوم الشريعة الغراء من القرآن او الحديث أو أصول الدين من المؤلفات القيمة التى لم تزل فى عالم المخطوطات وهو عالم مترامى الاطراف لابد من تضافر الجهود الفردية والحكومية لابراز مكنوناته وقد افردت لهذا سلسلة دعتها سلسلة : (احياء التراث الاسلامى) .

وكان من الطبيعى أن تكون باكورة هذه السلسلة كتبا تتصل بالقرآن الكريم .

وقد وقع الاختيار على كتابين اولهما :

« الفوائد فى مشكل القرآن » للشيخ العلامة عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام المجاهد الفقيه الشافعى رضى الله عنه وهو كتاب لعله فريد ومفيد فى بابه يعرض فيه بايجاز غير مخل لما قد ينقدح فى ذهن القارىء لكتاب الله العظيم من اشكالات قد يتساءل عنها فى بادىء الرأى أو بعد تأمل فى بعض آيات القرآن .

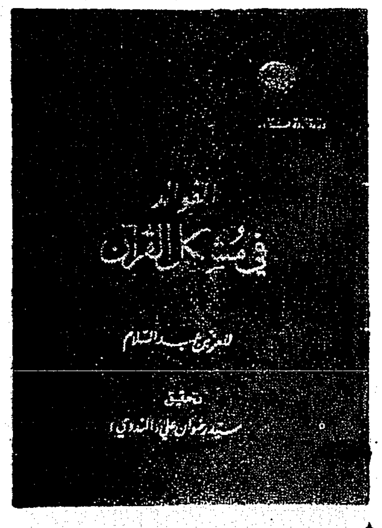
فالمؤلف رحمه الله يطرح الاشكال من هذا القبيل سواء اكان من الاشكالات اللغوية أو النحوية أو البلاغية أو العقائدية او الاصولية ويجيب عنها بما يراه مناسبا وقد عرض فى هذا الكتاب طائفة من هذه الاشكالات واجوبتها بأسلوب رقيق موجز واشتمل طرح الاشكالات وأجوبتها على كثير من الفوائد العلمية التى فيها تمرين لفكر طالب العلم وتوسيع لأفقه وتحليل دقيق للنص ووجوه الاحتمالات فى فهمه وما يتفرع عنها من نتائج فى المعنى وما يقبل منها وما يستبعد .

والظاهر لمن يتأمل فى عبارات هذا السفر النفيس أنه تلخيص لدروس فى تفسير القرآن الكريم ألقاها الشيخ ابن عبد السلام على جمع خاص من التلاميذ ذوى الاطلاع الواسع فى العلوم اللغوية والدينية ، وقد حقق الكتاب على ثلاث مخطوطات هى :

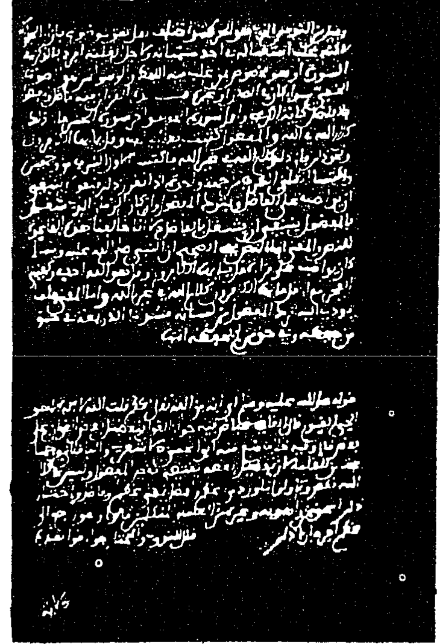
١ ــ مخطوط دار الكتب المصرية ٧٧ تفسير .

٢ ــ مخطوط المتحف البريطانى ٧٧١٣/٧٥٠ .

٣ ــ مخطوط المتحف البريطانى ٩٦٩١ .



↑ طبعة وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية



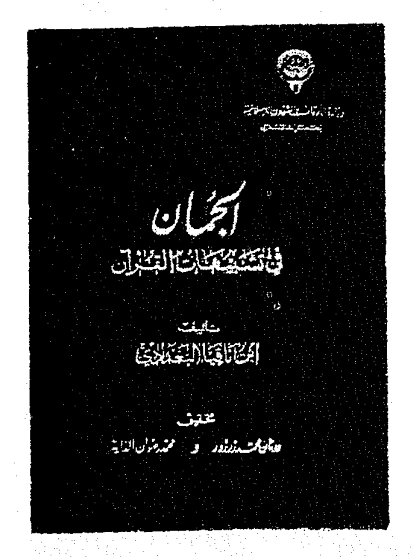
مخطوط المتحف البريطانى ٩٦٩١ →

وقد اشتملت هذه المخطوطات على تفسير القرآن وشرح أحاديث منتقاة ومناقشة بعض مسائل فقهية . والقسم المتعلق بتفسير القرآن الكريم يشكل الجزء الاعظم من مادة الكتاب وهو الذى اختير للتحقيق ، وقام بتحقيقه الدكتور السيد رضوان على الندوى الاستاذ فى كلية الآداب بالجامعة الليبية فى بنغازى وأعطى لنفسه الحرية فأطلق على الكتاب عنوان : « فوائد العز فى مشكل القرآن » وهو أقرب العناوين وأشملها من مادة الكتاب .

□ □ □

والكتاب الثاني هو (الجمان فى تشبيهات القرآن) *

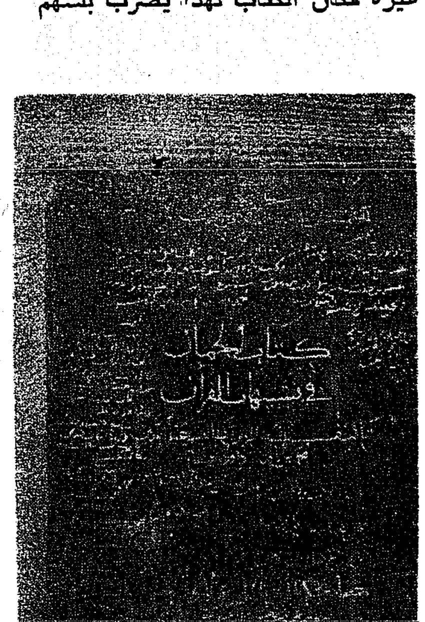
وكتاب الجمان هذا يتناول موضوعا هاما في الدراسات القرآنية وهو سمو بلاغة القرآن ووضوح اعجازه وقد استوعب الكتاب مواطن التشبيه والتمثيل فى القرآن وحللها تحليلا دقيقا بعد تفسير الآيات التى تضمنها وعزز ذلك بالشواهد اللغوية والادبية من شعر ونثر متعرضا للمقارنة بين التشبيه القرآني وبين ما ورد في نفس الغرض من شعر جاهلي أو اسلامي لبيان الفارق الكبير بينهما واظهار التفوق البلاغى الواضح فى أسلوب القرآن على غيره فكان الكتاب لهذا يضرب بسهم واحد فى الدراسات الادبية لكثيرة شواهده وغزارة مادته اللغوية التى حشدها لايضاح معانى القرآن فكان فيه ارواء لظمأ هواة العربية أيضا .



غلاف الطبعة المحققة

أما مؤلف الكتاب فهو أبو القاسم عبد الله بن محمد بن ناقيا البغدادى وهو من أعلام الادب فى القرن الخامس الهجرى ويلوح من كتابه سعة معرفته باللغة والشعر ومهارته فى جلاء روائع التشبيهات القرآنية وعنايته بالتحليل والنقد الادبى .

وقد تولى تحقيق الكتاب والتعليق عليه الاستاذ عدنان محمد زرزور والدكتور محمد رضوان الداية اختص أولهما بمادته التفسيرية وثانيهما بمادته الادبية وكان نتيجة ذلك اخراج الكتاب بصورة تدعو للاعجاب .



ورقة الغلاف من المخطوط وفيها عنوانه واسم مؤلفه ..

---

* راجع : كتاب الشهر فى العدد ٥٣ من مجلة الوعى الاسلامى .

وبهذين الكتابين كانت السلسلة متوجة بالعناية بالذكر الحكيم ثم انتقلت بعد ذلك فى نشر الوان اخرى من التراث الاسلامى وبدأت بالسنة المطهرة فكان كتاب :

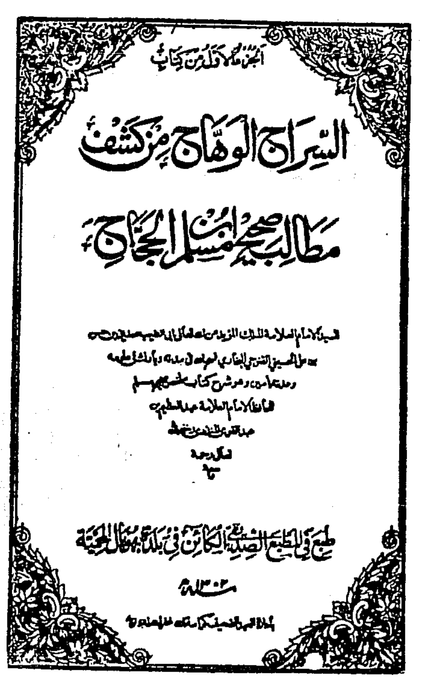
(مختصر صحيح مسلم) .

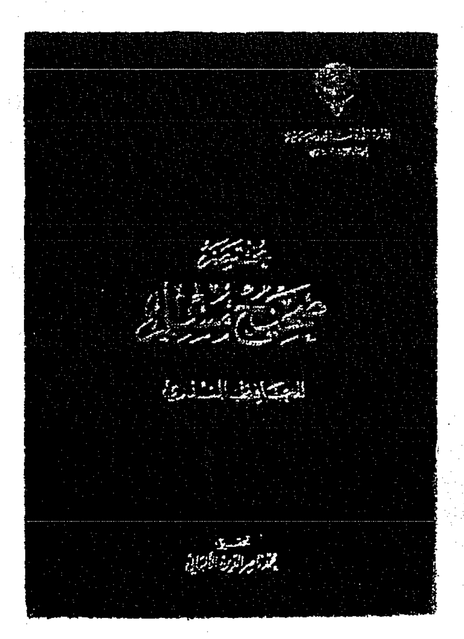
ويعلم من له ادنى اطلاع على تاريخ تدوين الحديث النبوى مدى ما كيد له من خصومه أيام الفتن بالوضع والدس وما عرض له من أذى الجاهليين والمفرطين من التساهل فى نفى الدخيل عنه وعدم التحرى لتمييز الصحيح والثابت عن الضعيف والمردود .

لقد أتيح للسنة النبوية من الصيانة والعناية ما لا يستغرب حصوله بعد أن عاش لها الجهابذة ونذروا لدراستها أعمارهم المباركة .

ولعل أول ما عرف التخصص فى علم واحد هو التخصص فى السنة والانصراف لعلومها وقد تمثلت العناية التامة بالسنة بعد مرحلة الجمع والتدوين التى أريد بها انقاذها من الضياع باقبال المحدثين الحفاظ على استخلاص الصحيح من غيره .

وأول من الهم ذلك شيخا المحدثين الامام محمد بن اسماعيل البخارى وصاحبه الامام مسلم بن الحجاج النيسابورى حيث الف كل منهما جامعا صحيحا من احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم واتبعا أعلى طرائق التحرى والانتقاء بحيث حصلت الثقة والطمأنينة بالنقل عنهما والعمل بما فيهما .





غلافا (مختصر صحيح البخارى) المخطوط والمحقق ..

وقد جاءت الاحاديث فى صحيح مسلم مكتنفة بأسانيدها وتكرر الحديث فيها لكثرة طرقه وتعدد رواياته وهـــذا جعل من الضرورى لافادة غير المختصين أن تختصر لهم تلك الكتب بحذف الاسانيد وذكر الاحاديث مجردة . وطى الروايات المكررة بعد اختيار أوعبها لفظا ومعنى وكان من الكتب التى اختصرت على النحو المذكور (الجامع) للامام مسلم اختصره الحافظ المنذرى فى كتابه هذا فجاء مشتملا على معظم أحاديثه مجردة من الاسانيد والروايات .

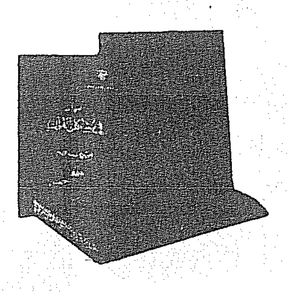
وقد أجاد رحمه الله فى اختصاره كما وضع لأبوابه عناوين معبـــرة عن مدلولاتها .

والمؤلف الحافظ المنذرى زكى الدين عبد العظيم من كبار حفاظ الحديث فى القرن السابع الهجرى وقد اعتكف طوال حياته فى دار الحديث الكاملية بالقاهرة لدراسة السنة وبث علومها الى جانب اشتغاله بالفقه ومشاركة فى اللغـــة والتاريخ .

وقد قام بتحقيق الكتاب المحدث البارع الاستاذ محمد ناصر الدين الالبانى الذى وقف حياته على الاشتغال بالسنة مع مهارة فائقة ونباهة زائدة فى تمييز الثابت منها والتحذير من الضعيف والموضـــوع ودحر الخرافات والبدع فعنى بضبط النص وشرح غريبه والتعليق على المواطن المشكلة أو المبهمة من معانيه كما صنع فهرسا كاملا لأطراف أحاديثه مرتبا على الحروف لتسهيل الاستخراج من الكتاب والعزو اليه .

ان نشر هذا السفر القيم يضع بين يدى المسلم كتابا جامعا لأحاديث الاحكام والآداب ، مما صح سنده فأصبح قريب التناول ميسر الاخراج .

وهذا الكتاب الثالث فى سلسلة احياء التراث الاسلامى يزيد هذه السلسلة قوة وأصالة لتؤدى دورها الكامل فى احياء التراث الاسلامى فتحيا به النفوس المسلمة ويتصل ركبنا الحاضر بالعهود الزاهرة لسلفنا الصالح ويكون المستقبل لهذا الدين الحنيف ان شاء الله .



ولكن رواية عائشة رضى الله عنها قد تكون لدينا أقرب من غيرهـا . ومعها جابر فهما يقولان . بل صلى الظهر ذلك اليوم بمكة (١) .

الاقامة فى منى

واقام بقية يوم السبت . وليلة الاحد ويوم الاحد وليلة الاثنين ويوم الاثنين وليلة الثلاثاء ويوم الثلاثاء فى منى . يرمى الجمرات الثلاث فى كل يوم من هذه الايام بعد زوال الشمس. وروى أنه خطب يوم الاحد الثانى من يوم النحر (٢) وروى أيضا أنه خطب يوم الاثنين .

طواف الوداع والعودة الى المدينة

وفى يوم الرابع عشر . يوم الاربعاء من ذى الحجة دخل النبى مكة المكرمة فى الليل . فطاف بالبيت طواف الوداع قبل الفجر . ثم خرج من كدى . من أسفل مكة ، آمرا بالرحيل الى المدينة . وكانت مدة اقامته بمك عشرة أيام . ولما راى المدينة المنورة كبر ثلاث مرات وقال .

(لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير . آيبون ، تائبون ، عابدون سائحون ، ساجدون ، لربنا حامدون صدق الله وعده ، ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده) . ودخل المدينة نهارا .

وسميت هذه الحجة (حجة الوداع) وبعضهم يقول (حجة البلاغ) وغيرهم (حجة الاسلام) وهى فى الحق ذلك كله .

---

(١) يؤيد ابن حزم ذلك فى حجة الوداع ص (٢٨) — ثم يقول ولا ندرى أيهما اصح . وظاهريا ابن حزم هى التى جعلته يتحاشى الحكم بشىء يؤكده . — انظر كذلك ابن كثير ١٩٤/٥ .

(٢) تاريخ ابن كثير ٢٠١/٥ .



يسر المجلة ولجنة الفتوى بالوزارة أن تتلقى أسئلة القراء وتجيب عنها

الجمع والقصر في الميدان

السؤال :

هل يجوز لنا شرعا نحن أفراد الجيوش المرابطة على خط وقف اطلاق النار بيننا وبين العدو جمع الصلاة وقصرها ؟

الاجابة :

الجيوش الواقفة على خطوط اطلاق النار تعتبر فى حالة حرب حقيقية والمعارك اما واقعة او متوقعة ولها أن تصلى الصلاة التى تسمى فى الفقه الاسلامى بصلاة الخوف التى ذكرها الله فى قوله — واذا ضربتم فى الارض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا . واذا كانت فيهم فاقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم ان كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم ان الله أعد للكافرين عذابا مهينا — من سورة النساء .

وصلاة الخوف لها كيفيات وردت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . منها ان تصلى الصلاة مقصورة فتصلى ركعة ويكتفى بها وتصلى ركعتين فقط . وكما يجوز أن تصلى الصلاة مقصورة يجوز الجمع بين الظهر والعصر والجمع بين المغرب والعشاء تقديما وتاخيرا فتصلى الصلاتان فى وقت احدهما .

صلاة الجمعة

السؤال :

يوجد بقريتنا الصغيرة مسجد للصلاة لا يزيد عدد المصلين فيه عن عشرة مصلين وقد امتنع امام المسجد عن صلاة الجمعة فيه وقال : ان صلاة الجمعة لا تصح على مذهب الامام مالك الا بحضور اثنى عشر رجلا غير الامام ، وبهذا نحرم من خطبة الجمعة وصلاتها . فما حكم الشريعة ؟

الاجـــابة :

تصح صلاة الجمعة باثنين فاكثر وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : الاثنان جمـــاعة وما اشترطه البعض من الفقهاء من عدد يزيد على الاثنين فى صلاة الجمعة لا دليل عليه من الكتاب ولا السنة ولا اجماع المسلمين وكلها اجتهادات عقلية بدليل اختلافهم فى هذه القضية فمن قائل بان الجمعة لا تنعقد الا باربعين ومن قائل بانه يكتفى فى الجمعة باثنى عشر رجلا سوى الامام ومن قائل بانه لا بد من ثلاثة ومن قائل لا بد من اثنين غير الامام الى آخر هذه الاقوال التى لا سند لها ولا دليل عليها .

واذا كان ذلك كذلك فانه يصح لأهل هذه القرية أن يصلوا الجمعة وان لم يبلغوا اثنى عشر رجلا وليس من الضرورى التقيد بمذهب الامام مالك فى هذه المسالة وفى مذاهب غيره من الائمة ولا سيما مذهب الامام أبى حنيفة سعة للمسلمين وحتى يظفروا بسماع الخطبة وينتفعوا بها كل اسبوع فضلا عن المكاسب الدينية التى يحظون بها كثمرة لاقامة هذه الشعيرة .

فى الرضـــاع

الســـؤال :

ارضعتنى عمتى صغيرا مع ابن لها وانجبت بعد ذلك اولادا منهم بنت أريد الزواج بهـــا فما حكم الشريعة ؟

الاجـــابة :

الاخوات من الرضاع من المحرمات لقوله تعالى فى آية التحريم « واخواتكم من الرضاعة » ولقوله عليه الصلاة والسلام « يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب » وذهب جمهور الفقهاء ان قليل الرضاع وكثيره سواء وقال الشافعى ان الرضاع المحرم هو خمس رضعات متفرقات مشبعات ، وهذا كله بشرط أن تكون الرضعات فى سن الارضاع .

وبرضاع السائل من عمته يكون اخا لأولادها جميعا الصغير منهم والكبير ، ومن ثم فبنتهـــا الذى يريد الزواج بها تكون اختا له من الرضاع لاجتماعهما على ندى واحد بشرط ان يكون الرضاع فى سن الارضاع وخمس رضعات ، ومن ثم فلا يجوز له الزواج بها ولا باية بنت من بناتها .

الســـؤال :

امراة دخل بها زوجها وبعد اربعة اشهر حدث سوء تفاهم بينهما ، وحكم له عليها بمبلغ (١٩٠٠) ليرة سورية وتركها منذ ثمان سنوات ولم ينفق عليها ولم يطلقها ولم يصلحها وتزوج غيرها ويقول انى لا أطلقها حتى تدفع لى ما عليها .

الاجـــابة :

لا شك ان ترك الزوج زوجته مدة ثمان سنوات هجرا لا تقره الشريعة الاسلامية لان ذلك غاية المضارة ـــ والمقرر فقهيا أن للزوجة أن تطلب تطليقها من زوجها كما لها أن تطلب التفريق بينهمـــا لامتناعه من الانفاق عليها والنفقة واجبة من تاريخ امتناعه عن الانفـــــاق وما دام الزوج لم يقبل التطليق فعلى الزوجة أن تلجأ للقضاء .



يعبرون فيه عن افكارهم
دون أن تلتزم المجلة بآرائهم ..

تراثنا الشعبي اين هو ؟

كتب الينا الاستاذ عيسى حوارى من بنغازى تحت هذا العنوان يقول :

كثيرا ما نسمع ونقرأ فى مناسبات أدبية واجتماعية عديدة ، وفى معظم البلاد القربية دعوات ونداءات لجمع وتصنيف ودراسة الادب الشعبى أو التراث الشعبى لذلك البلد . وانها حقا لفكرة نبيلة لانها دعوة اصلاح وخير وابقاء : لقيم ومثل البلد من الاندثار أو الغرق فى خضم بحر العادات والتقاليد والافكار والمجاملات التى تاثرنا بها من الغرب عن طريق الاستعمار المباشر أو عن طريق مدارسه وارسالياته وصحفه ودعاياته التى غمر بها ويغمر كل وطن عربى ، أو عن طريق أولادنا الذين يسافرون الى أوروبا لاجل الدراسة فيعودون وقد تشبعوا بالمفاهيم والقيم والحياة الغربية حاملين معهم معاول الهدم لقيمنا وحضارتنا التى كانت لفترة زمنية طويلة سيدة الحضارات ونبراس الهداية والمنهل العذب والقدوة المثالية للاخلاق الصحيحة .

لأنها دعوة الى الاعتزاز والافتخار بهذه القيم الاصيلة الصحيحة ، البعيدة عن الصنعة والتصنع الخالى من العطف والمحبة والمودة انها دعوة لقيم المحبة والشجاعة والكرم الصحيح كرم اغاثة الفقير والمحتاج لا كرم المجاملات والرياء والاسراف الارعن ، انها دعوة لقيم الشهامة والمروءة والايثار والزهد بالمتاع والشهوات انها دعوة لقيم العفة والطهارة والعزة .

ان الحضارة الغربية قد غرتنا واثرت علينا كثيرا وزاد تاثيرها بواسطة وسائل الاعلام الحديثة من صحافة واذاعة وسينما . فاخذنا نقلد الغرب فى كل شىء من حياته حتى لم يعد لنا طابع خاص نمتاز به عن سائر الامم والشعوب كما كنا فى وقت مضى وانه لعائد ان شاء الله .

ــ قلدناه فى اغانيه المبتذلة وعباراته السخيفة التى يستحى منها ويستخفها حتى اطفالنا .

ــ قلدناه فى لباسه وزيه فصرت ترى فتياتنا البريئات فى لباسهن المدرسى او الرسمى ، هذا الزى الفاضح الذى قلدنا به نساء الغرب تماما حتى انك لا تستطيع تمييز الفتاة العربية به من الفتاة الغربية . وترى فتياتنا بسراويلهم الضيقة وشعورهم المسترسلة .

ــ وقلدناه فى أفلامنا السينمائية ، هذه الافلام التى توحى وتعرض لنا الدعارة والفضائح على أبشع صورة يمكن أن تكون بها ، وكان هذه الافلام باسم الحرية والتقدم والرسالة الكاذبة التى يحملها الفلم السينمائى لا تستطيع الا ان تعرض هذه المناظر المخزية لجماعة الانحراف مهنة معظمهم ، أطلقنا عليهم جزافا اسم النجوم والابطال .

ـ وقلدناه فى عاداته وآدابه فى الكرم والضيافة ، فالكريم هو الذى يظهر البذخ الـكمالى ويتفنن فيه ، أما اذا رأى الفقير والمعوز والمحتاج فيهز كتفيه ويمشى ، اما الاعراس والافراح والولائم التى تكون لأصحابه والاثاث المنزلى فيبذل من أجله ما يستطيع وفوق ما يستطيع ، ولا مانع بعـد ذلك أن يقع فريسة للدين والمرابين زاعما أنه يساير المجتمع .

اذن كيف نستطيع الحفاظ على البقية الباقية من تراثنا الشعبى الذى يميز امتنا ويطبعها بطابعه الفريد قبل أن يندثر ويزول ؟

هذا هو السؤال الملح الذى تحاول كثير من الدعوات العربية فى عدة اقطار منها اثارته ، وهذه غالبا دعوات وزارات الثقافة والاعلام والجمعيات الادبية والفنية ورجال الفكر والادب واساتذة الجامعات لكن هل يجب أن نتجه الى تحقيق جزء بسيط من هذا التراث الشعبى ، ثم نضع هـذا الجزء البسيط على الرف وكانه تمثال صغير ننظر اليه ، بل ونمتع النظر به ، أم كيف نعمل ؟

وللاجابة على ذلك اجابة شاملة جوهرية علينا ان نتجه الى جميع فروع تراثنا الشعبى ولننقذه وننقذ أنفسنا من التدهور والضلال ، وهذه بعض منها :

١ ـ علينا أن نجمع الاغانى القديمة ونستعملها فى الاذاعة على أنها النمط الصحيح لاغانينا . ونؤلف اغانى جديدة على منوالها فى العبارة واللحن بحيث تشمل أغانينا الاغانى الشعرية واللحن المتزن واستعمال اللغة العربية الفصحى ، وترك اللهجة العامية ، فاللهجة العامية تبـاعد بين التفاهم بين ابناء العرب بالاضافة الى أنها دعوة استعمارية خبيثة فى أساسها .

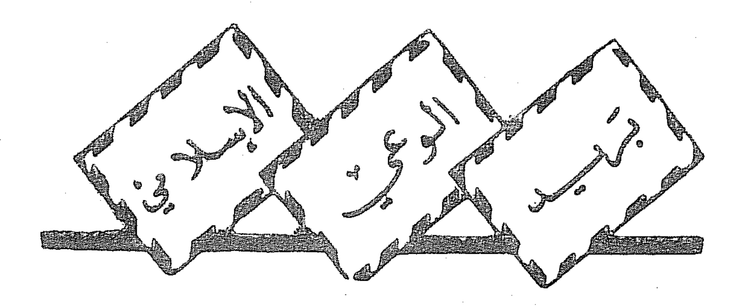
٢ ـ على مؤسساتنا الثقافية والاعلامية والاسلامية وجمعياتنا الادبية دراسة مختلف الازياء النسائية الشعبية فى الاقطار العربية والاسلامية وأن هـذه الازياء لكثيرة جدا ثم التوصية على استعمال أحد هذه الازياء أو استخراج زى موحد محتشم منها والتوصية على استعمال هذا الزى المحتشم فى مدارس البنات للطالبات والمدرسات وللموظفات أثناء قيامهن بوظائفهن وعمل الدعاية اللازمة لهذا الزى عن طريق الاذاعة والصحافة والتلفزيون ، ولمدة طويلة والزى النسائى الباكستانى أو السودانى يمكن أن يكون من أحد هذه الازياء .

٣ ـ على هذه المؤسسات الثقافية والفنية عدم انتاج الافلام الخالعة ، وانتاج الافلام التربوية القويمة الاخلاقية النابعة من تراثنا فقط . أليست الافلام الهندية الحالية مثلا زينة فى طابعها وبعيدة عن أساليب الخلاعة والمنكرات ؟ ومع ذلك فهى رائجة ومحمودة فلنقتد بها ، لا بالافلام الغربية مثلا ، كما علينا عدم استيراد الافلام الغربية أيضا .

٤ ـ والشىء نفسه يمكن أن يقال بالنسبة للصحافة فكثير من مجلاتنا وجرائد محترمة ورزينة فلندعمها ولنحافظ عليها وعلى مستواها الاخلاقى والادبى الرفيع ، ونقلص بل ونمنع اصـدار أو استيراد الصحف الخليعة ذات الصور والمقالات الضالة .

٥ ـ تنقية قيمنا ومثلنا من الادران الغربية فنحن صادقون أمناء أوفياء للوعد بطبيعتنا ونحن كرماء وكرمنا هو مساعدة واغاثة بعضنا بعضا ، نشعر مع بعضنا فى السراء والضراء . وأما الكرم الغربى أو كرم التقليد الاعمى فى المجاملات والكماليات والرياء هذا ليس كرما بل اسرافا وحمقا . كما اننا اناس سامون بتطلعاتنا فليس يقدس المادة أو المناصب الفارغة أو المآكل اللذيذة فاننا نزهد هذه الاشياء وهى ليست أهدافنا ولا نعيش من أجلها ، فاهدافنا هى أرقى من ذلك وأسمى ، انها فى الايثار والمحبة والمودة ونحن مع ذلك عاملون نشيطون فى كل مجال من شانه أن يجلب لأفراد الامة الخير والرخاء فنحن نحب الخشونة والتقشف ونتأفف من قشور الحضارة الزائفة .

واننا بهذه السبل وبمثلها نستطيع أن نقيل تراثنا الشعبى من الاندثار والضياع ونستطيع أن نحفظ شرفنا العربى الاصيل ونصون شخصيتنا العربية .



يسر هذا الباب ان يشارك فى الاجابة على ما ورد اليه من اسئلة فى هذا العدد صاحبا الفضيلة الشيخ محمد الغزالى مدير ادارة التدريب بوزارة الاوقاف ج. ع. م. والشيخ سيد سابق الاستاذ بجامعة الازهر وهما من ضيوف الكويت فى رمضان .

السؤال :

تنكر شبابنا وفتياتنا لاخلاق ديننا وتقاليد اسلامنا ، وقلدوا الغربيين تقليدا اعمى .

فظهرت بناتنا فى ثياب كاسية عارية ، وتبذل شبابنا ، فطالت شعورهم ، وتدلت السلاسل الذهبية من اعناقهم .

فما موقف الدين من هؤلاء ، وما العلاج ؟

مصطفى محمد الرانس — زحلة — لبنان

الاجابة :

تمر آداب الاسلام وحدوده بمحنة ما أظن لها نظيرا فيما مضى من تاريخنا ، بل ان النساء فى أغلب الاقطار بلغن حدا رهيبا من التبذل والاثارة يجعل الاخلاق الدينية والمدنية مهددة بالتلاشى ..

فالملابس ليست لكسوة الاجسام وستر العورات بل هى لابراز المفاتن ومضاعفة المحاسن واستفزاز الشهوات الهاجعة ، وتحريك الشهية الجنسية لدى كل انسان . الشباب الاعزب يطير لبه لما يرى ، والمتزوج يقلب العين فى معارض لا حصر لها من الاجساد المغرية ، فلا يكتفى بما لديه !! وكأنما وضعت ألف حيلة ووسيلة لتيسير الزنا ودفع الجماهير اليه دفعا وجعله ضرورة حيوانية يأتيها القادر ، ويأسى لفواتها المحروم !! ويستحيل أن يقبل مؤمن هذه الاوضاع ، بل أن يرضى بوقوعها ويستكين لشيوعها . وما أشك أبدا فى أن الذين سنوا هذه التقاليد — من أهل أوروبا وأمريكا — لا دين لهم ، فان الزنا محرم فى اليهودية والمسيحية وما يؤدى اليه أو يغرى به لا يسوغ اقراره . والملابس القصيرة التى شاعت أخيرا ، والتى تكشف عن أفخاذ النساء وهن واقفات وتضاعف الفضيحة وهن جالسات ، هذه الملابس دعوة الى الدعارة بلا ريب ، وزلزلة لبقايا العفة فى قلوب أهل الايمان ، وما يمكن أن ترتديها حرة ، أو يرضى بها امرؤ شريف . وبديهى أن الاسلام يعد هذا التبرج منكرا غليظا وانتشاره فى بلادنا يرجع الى أمرين : أولهما : موت الاحكام الشرعية وسيادة قوانين مجلوبة من بلاد تكفر بالكتاب والسنة ، بل لست أبعد اذا قلت : انها تكفر بالله والمرسلين . والامر الآخر : انحلال الشخصية الاسلامية وذوبان تقاليدها فى حرارة الغزو الاجنبى ورغبة الشعوب المهزومة فى تقليد الشعوب الغالبة ، وهى — لغبائها — تحسب هذا التقليد ما يكون الا فى الازياء وأسلوب تفصيلها !! وقد ترك المسلمون عشرات من شعب الايمان ، وأشبهت هذه التعاليم المهدرة عقدا انقطع خيطه وتبعثرت حباته هنا وهناك ، فما يمكن البكاء على حبة واحدة منها وتناسي زميلاتها المطروحات فى التراب . ومن هنا فلا أستطيع أن أصف علاجا جزئيا لعلة

خاصة اذا كان الكيان كله مهددا بما يعصف به !! هل يغنى فى دفع التبرج والقضاء عليه بين النساء أن أذكر قوله تعالى : « يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ، ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين » أو يغنى فى منع الشباب عن تعليق السلاسل الذهبية أن أذكر نهى الرسول صلى الله عليه وسلم للرجال عن التحلى بالذهب ؟ لا هذا ولا ذاك يغنى وحده لأن من نخاطبهم قد تفلتوا من قيود الايمان ، وتركوا الاركان الاساسية فى الدين ، وربما كان بعضهم يحمل بين جوانحه ايمانا مخدرا لا حراك به فهو امعة تضمه القوافل السائرة اليها وتكثر به سوادها والامعات يعيشون مع التيارات السائدة ، ولا يتركونها الا اذا ركدت ريحها .

ولست أدعو الى مهادنة هذه المناكر البتة ، بل أريد لفت النظر الى حقيقة الداء حتى نستطيع تقريب الدواء ، ان منظر الشاب المائع ، أو الفتاة الخليعة، أمسى لا يمثل فى عينى معصية فردية، أو انحرافا جزئيا ، بل يمثل أمة نسيت دينها وتاريخها وجهادها ، وعاشت للدنايا الميسورة ، فهى تمرح اليوم لتذبح غدا ، وجزارها الاستعمار العالمى وربيبته الصهيونية المحتلة .. فان لم نسارع الى وقف هذه المخازى ومحوها أخزتنا هى ومحتنا لا محالة وأصبحت أمتنا كلها خبرا يروى ..

ويتقاضانا العلاج العاجل لهذه الحال المزعجة الا نسأم من المطالبة بعودة الشريعة الاسلامية الى ميدان القانون لتحل الحلال وتحرم الحرام وتمنع الانحراف وتزيح العوائق أمام الخير ، وليست هذه العودة المنشودة فى مجال الازياء وحده ، فهذا المجال محدود جدا ، وانما المقصود أن يشعر الخاص والعام بأن الدين قد رجعت له الحياة والكرامة ، وأن آدابه وحدوده أضحت تحكم المجتمع وتفرض عليه سلطانها ، وأن الذين يصمون آذانهم عن نداء الضمير سوف تتناولهم سياط الدولة وشىء ثان أقرره ، وهو أن هناك طبقات فى المجتمع متبوعة لا تابعة ، قد يكون ذلك لأنها تملك الثروة ، أو لأنها تملك السلطة ، والاغنياء والحكام فى مختلف البلاد الاسلامية لهم أثرهم غير المنكور ، ومن ثم استهدفهم الغزو الاوربى والامريكى رجالا ونساء ، حتى فسدت طباع أغلبهم ، ومرقوا من تقاليد العروبة والاسلام وغلبوا عليها كل بدعة أجنبية وكل سماجة خارجية .

وهناك أمر ثالث يحتاج الى فضل ايضاح ، أريد أن الفت اليه نظر السائل الكريم وغيره من كل غيور على العرض والشرف حيث كان . ان الغريزة الجنسية حقيقة واقعــة لا يمارى فى وجودها ولا يستهين بآثارها الا معتوه ، وهى ليست رجسا من عمل الشيطان ، ان الله وكل امتداد الحياة اليها ، وجعلها من مصادر الود والرحمة بين الزوجين .. فالتجهم المطلق لها ليس تدينــا صحيحا ، والكبت الدائم لها رهبانية رفضها الاسلام .. والحل الاوحد لها هو الزواج ولمــا كان الاسلام دين الفطرة فانه يسر الزواج ، بل أوجبه اذا لم تتحقق العصمة الا به .. ولكن المسلمين المتأخرين — على نقيض سلفهم الواعى — جعلوا الزواج مشكلة اقتصادية مهولة ، وانى بقدر ما أحارب التبرج الشائع أحارب تعسير الزواج ، وأريد أن أكسر النطــاق الذى ضربته التقاليد الحالية حوله ، فهى تقاليد تقوم على رذيلة الرياء والمفاخرة والمكاثرة وطلب السمعة وليس لوجه الله ذرة فيها .. !! وتعسير الزواج معناه تيسير الحرام والاكراه على ارتكابه فأى ايمان هذا ؟

وتنبيه أخير أذيل به هذه الاجابة : ان التبرج الذى نددت به هنا له ضد واحد هو الاحتشام ! فأخشى أن يجىء بعض القاصرين من المتحدثين فى الدين فيقول ان علاجه امساك النساء فى البيوت حتى يتوفاهن الموت !! لا ،تستطيع المرأة أن تشارك فى الجماعات الخمس وهى محتشمة ،وتستطيع أن تنتسب الى مراحل التعليم كلها وهى محتشمة ، وتستطيع أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وهى محتشمة !!!

ان المجتمع الاسلامى الاول ، وهو أسوتنا الحسنة جعل النساء شقائق الرجال ، وأقام بهن أمة صالحة مجاهدة ، وحضارة بانية نافعة .

فلما غابت شمسه شاعت فى العالمين فوضى خطيرة ، كان من مساخرها التى رأيناها نساء يتشبهن بالرجال ورجال يتشبهون بالنساء ، وانطلاق شهوانى مدمر لا يدرك له قاع .

محمد الغزالى

نزول المسيح

السؤال :

اختلف المسلمون عندنا فى نزول المسيح عليه الصلاة والسلام ، نرجو توضيح هذا الامر بما يقطع دابر الخلاف ، جزاكم الله عنا خير الجزاء .

ع٠ م٠ ع

السودان

الاجابة :

كان عيسى نفسه آية من الآيات ومعجزة من المعجزات فكان ميلاده على غير الطريق المعروف ولا السنن المألوف فقد ولد بغير أب وأجرى الله على يديه الخوارق فكان يحيى الموتى ويبرىء الاكمة والابرص باذن الله ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرا باذن الله .

وكانت معجزاته بهذا الاسلوب لأن الشعب الذى أرسل اليه كان ينكر الروح فكانت المعجزة دليلا حيا ليؤمن بأن الله خلق للانسان روحا ، وأنها ستحاسب فى الدار الآخرة على كل صغيرة وكبيرة .

ولما لج قومه فى العناد وحاربوه بكل لون من ألوان المحاربة واتهموه لدى الحاكم الرومانى بما هو برىء منه وصدر الحكم باعدامه صلبا أنجاه الله من المؤامرة الكافرة ورفعه اليه : « وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه » وقد جاءت الاحاديث الصحيحة الصريحة بأنه سينزل الى الارض كاحدى علامات الساعة الكبرى « وانه لعلم للساعة » سورة الزخرف ويكون نزوله وسط الامة المسلمة وأنه سيحكم بشريعة الاسلام ويرجع فى حكمه الى كتاب الله والى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأنه سيطهر الارض ويملؤها عدلا بعد أن كانت ملئت ظلما وجورا ، روى مسلم عن جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا تزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق ظاهرين الى يوم القيامة . قال : فينزل عيسى بن مريم عليه السلام فيقول أميرهم . تعال صل لنا . فيقول : لا ، ان بعضكم على بعض أمراء ، تكرمة الله هذه الامة . .

ثم ينتهى أمره بالموت الطبيعى الذى كتبه الله على بنى آدم .

هذه هى الصورة التى يتصورها جمهور العلماء من المسلمين كما جاءت فى الكتاب والسنة الصحيحة .

وقد ذهب بعض العلماء ومنهم ابن عباس الى أن عيسى عليه السلام مات بعد أن أدى رسالته وانتصر لهذا الرأى بعض المعاصرين من أهل العلم ، ولكن ليست لديهم الادلة العلمية التى تعارض الاحاديث الصحيحة الصريحة المتفق على صحتها بين جميع أئمة العلم بالحديث .

السيد سابق



واولئك هم المفلحون

تحت هذا العنوان كتبت مجلة التربية الاسلامية تقول :
المجموعة الصالحة من ابناء الامة وجودها امر ضرورى لحياتها ، اذ ان مهمتها اشبه بالروح للجسد .

فهى تدعو الى الله على بصيرة بالحكمة والموعظة الحسنة . وتتمثل بقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم (لأن يهدى الله على يديك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس او غربت) .

وكل فرد من هذه المجموعة النيرة يسهم دوما بعمل الصالحات ، ويعملها طيبة بها نفسه ، وتصده فى ذلك خدمة اخوانه الآخرين وادخال المسرة على نفوسهم ، فخير الناس انفعهم للناس ، واضعا نصب عينيه قوله تعالى : (ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين) .

وتسعى هذه المجموعة الفاضلة لتذكير المسلمين ـ قادة ورعية ـ تذكيرهم بالخطر المحدق بهم ، من تألب امم الكفر عليهم بمساندة اليهودية العالمية ، واغتصابهم لحقهم المشروع فى الارض المقدسة .

كما وتبذل هذه المجموعة من ابناء الامة غاية جهدها لجمع كلمة المسلمين فى سائر بقاع الارض ، وتوحيد صفوفهم ، وان يكونوا يدا واحدة على من سواهم ، فيستجمعوا امرهم ، ويردوا كيد الاعداء لأن أمم الكفر ملة واحدة .

ولا تغفل هذه الزمرة من ابناء الامة عن الدعوة لضرورة ايجاد جماعة من اهل الراى فى كل قطر من بلاد المسلمين لغرض ابداء المشورة لولاة الامور فى ادارة شؤون هذه الاقطار ، اذ أن الامة لا تجتمع على ضلال ، ويد الله مع الجماعة ، وما خاب من استشار .

وتسعى هذه الفئة الصالحة فى مجال الامر بالمعروف لتوعية الامة الاسلامية وتنبيهها من خطر المبادىء الفكرية التى وفدت الى بلادها ، وذلك باسم معالجة الانظمة الاقتصادية ، لأن فى الاسلام المورد العذب ، والمعين الذى لا ينضب لمعالجة مثل هذه الامور .

هذا وان من الامر بالمعروف ايضا والذى تسعى اليه تلك الجماعة هو السعى لتلقين ابناء الامة الاسلامية منذ نعومة اظفارهم بأن الواجب يحتم عليهم ان يتعلموا من العلوم القدر الضرورى لأحكام العبادات التى يصح بها تأدية الفروض ثم يتزودوا من علوم الحياة أنفعها والتى بها يستكملون وسائل عدتهم ، ويتمكنون من مواجهة أعدائهم .

والنهى عن الامور المحرمة أمر تضعه هذه المجموعة من أبناء الامة نصب عينيها وتوليه ما يستحقه من العناية .

فهى تسعى دوما لتذكير أبناء الامة بالابتعاد عن الرذائل وسفاسف الأمور ، وأن لا يقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن .

كما ويسعوا لتذكير ولاة الامور ايضا بأن وجود بعض الاسباب التى تؤدى بأبناء الامة الى ارتكاب ما نهى الله عنه أمر لا يرتضيه الله تعالى .

فبيع الخمور مثلا ، وتعاطى الربا ، ووجود دور المقامرة وسباقات الخيل ، وانتشار الوسائل التى تساعد على ارتكاب الرذيلة ، كل ذلك لأن الله تعالى سائل كل راع عما استرعاه ، حفظ ذلك أم ضيعه ، كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من عبد يسترعيه الله عز وجل رعية يموت يوم يموت ولم يحطها بنصحه لم يرح رائحة الجنة » .

□ □ □

وكتبت مجلة (البعث الاسلامى) الهندية فى موضوع : « المنهج الاسلامى للحكم لا يحتاج الى بحث وتدقيق بل يحتاج الى تنفيذ وتطبيق !) تقول :

المنهج الاسلامى للحكم أو للسياسة والاجتماع لا يحتاج الى بحث وتدقيق ، بمثل ما يحتاج الى تنفيذ وتطبيق ، ولا يحتاج الى تصريحات واعلانات ، وحفلات ومناسبات ، ومؤتمرات واجتماعات ، ودراسات ومناقشات أكثر مما يحتاج الى اخلاص فى القول والعمل ، وايمان راسخ عميق بالمبدأ ، واقتناع واف كامل بسمو الهدف ، ودافع قوى على الاقدام ، وولاء صادق عملى بالاسلام وسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام .

المنهج الاسلامى ، منهج مستقل ، منهج أصيل ليس بينه وبين المناهج الوضعية وجه شبه أو نسب ، فبينما المناهج الاخرى أو الديانات السائدة الاخرى ، تختلط مع الشعوب البشرية العامة فى سوق المادة والمعدة ، وتجتمع معها على مائدة واحدة ، وتتمتع معها بملذات الحياة المحرمة بحرية تامة نرى الاسلام ينفصل عن هذه الشعوب المادية من أول الطريق ، احتفاظا بسماته وخصائصه ، وغيرة على دين الله ، واستمساكا بالعروة الوثقى ، وكراهية للمناهج الباطلة ، والدعوات المزورة الكاذبة ، وذلك هو المراد مما جاء فى الحديث الشريف من مخالفة اليهود والنصارى والتشديد على النهى عن متابعتهم ولو فى الامور العادية البسيطة (وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم) .

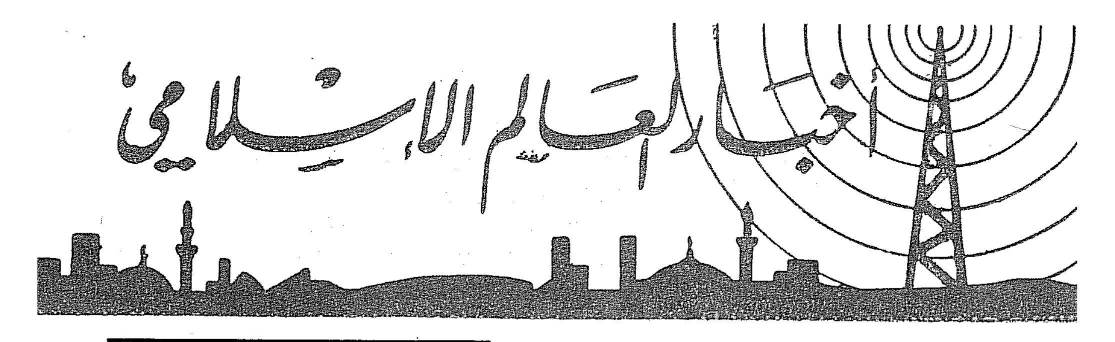
واخيرا فان المنهج الاسلامى ليس هتافا أو شعارا أو دعاية واعلانا ، انه نظام عملى مستقل للحياة ، وهو لا يطلب منا الا أن نكون صادقين فى الرغبة ، مخلصين فى القصد ، عازمين على العمل .

□ □ □

وعن السلبية فى العالم الاسلامى كتبت مجلة (البلاغ) الكويتية تقول :

ان أخطر داء يفتك بالمجتمع الاسلامى هو (السلبية) القاتلة حيث يحس البعض أن مشاكل الغير قد لا تعنيه فى شىء ، وحيث تعطل الحس الاسلامى بأن (المسلمين فى توادهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى) فأين ذلك التداعى الذى وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل من السمات البارزة للمجتمع المسلم ؟! ان كلامنا يجب أن يواجه مسؤولياته ومقتضيات اسلامه بصراحة وشجاعة ، وليس مسلما من يشك أن النفع والضر لا يكون الا باذن الله .

من الضرورى للامة المتحضرة أن تنظر للأمور بمنظار حضارى معين وأن تتخذ موقفها من كل أمر بموجب حس حضارى متمكن فيها . وحضارتنا نحن . بل الحضارة الحقيقية الوحيدة هى الاسلام ولكن مأساتنا أن هذا الحس الحضارى معطل فى أكثرنا ، ولذلك تختلف فى الحكم على الحدث الواحد والامر المتشابه ، ويستعمل بعضنا نظريات مستعارة فى تقييم الاشياء ولذا فقد سادت فى مجتمعاتنا فوضى فكرية وحضارية لا يمكن أن تنتهى الا بعودة الاسلام للحياة والحكم والاجتماع عليه .



اعداد الاستاذ : عبد المعطي بيومي

الكويت : تقرر اشتراك الكويت فى مؤتمر القمة العربى الذى سيعقد هذا الشهر بمدينة الرباط عاصمة المملكة المغربية .

عقد سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء عدة اجتماعات مع المسئولين والتجار لتنشيط الحالة الاقتصادية ومناقشة الخطة الخمسية للبلاد .

اكد معالى وزير الداخلية والدفاع انه لم يبق امام الامة العربية الا طريق الكفاح من اجل استعادة الارض العربية المغتصبة .

ستشترك الكويت فى المؤتمر الثقافى العربى الذى سيعقد فى القاهرة فى الفترة ما بين ٢٠ — ١٩٦٩/١٢/٣٠ .

اعلن مندوب الكويت فى لجنة حقوق الانسان بالامم المتحدة انه لا حق لاسرائيل فى الحياة فوق ارض لشعب آخر .

اشتركت الكويت فى معرض الفن الشعبى الاسلامى الذى اقيم بمانيلا (الفيلبين) فى اواخر اكتوبر الماضى .

القاهرة : دعا الرئيس جمال عبد الناصر الى مؤتمر قمة عربى لمناقشة المرحلة القادمة بعد فشل كل الوسائل السياسية فى حل الصراع العربى الاسرائيلى .

افتتحت فى مرسى مطروح مدرسة اعدادية ازهرية وستقام فى نفس المدينة مدينة جامعيـــة ازهرية للطلاب الافريقيين .

بعثت ادارة الازهر بمكتبات ثقافية اسلامية كاملة ومجموعات من المصاحف الى مختلف المراكز الاسلامية فى انحاء العالم .

عقد مجلس الدفاع العربى المشترك عدة اجتماعات فى القاهرة فى الشهر الماضى واكد ضرورة عقد مؤتمر قمة عربى للتخطيط للمرحلة القادمة .

السعودية : اتخذ المجلس التاسيسى لرابطة العالم الاسلامى الذى انعقد فى الشهر الماضى عدة قرارات هامة حول مختلف القضايا الاسلامية .

كشف السيد عبد الرحمن عزام ان ٢٠٠٠ سعودى كانوا قد اشتركوا فى حرب فلسطين عام ١٩٤٨ .

الاردن : استقال القضاة العرب فى الضفة الغربية لنهر الاردن احتجاجا على تدخل السلطات الاسرائيلية فى شئون القضاء وخاصة فى الشئون الوطنية والسياسية .

صرح السيد ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية انه ليس هناك مكسب او خسارة فى الازمة الاخيرة بين لبنان والفدائيين لانه لا حساب بين الاشقاء كما صرح بان العمل الفدائى لم يتاثر بهذه الازمة .

تواصل سلطات الاحتلال الاسرائيلى مصادرتها لأملاك العرب فى القدس ومجموعة ابنيـــة خارج سور القدس لاستخدامها فى فتح مراكز للتحف والمصنوعات الفولكلورية .

العراق : تجرى الاتصالات بين العراق واليمن الجنوبيةالشعبية لتحسين العلاقات بينهما وقد لبت العراق بعض مطالب اليمن الجنوبية من المساعدات التى تحتاجها .

أعفت الحكومة العراقية رعايا ليبيا القادمين الى العراق من تأشيرات الدخول .

سوريا : فتحت سوريا حدودها مع لبنان وكانت قد أغلقتها على اثر نشوب الازمة بين لبنان والفدائيين وقد قال بيان سورى ان أى تلكؤ فى تنفيذ الاتفاق بين لبنان والفدائيين سوف تكون اجراءاته قاطعة ونهائية .

لبنان : انتهت أزمة لبنان التى دامت أكثر من ٦ شهور بعد اتفاق السلطان اللبنانية مع الفدائيين فى القاهرة فى الشهر الماضى على التنسيق بين لبنان والفدائيين لصالح العمل الفدائى وكيان لبنان معا .

تونس : بالتزكية أعيد انتخاب الرئيس الحبيب بورقيبة رئيسا للجمهورية التونسية لفترة أخرى وفخامته يشغل منصب الرئاسة منذ سنة ١٩٥٧ .

الجزائر : احتفلت البلاد فى الشهر الماضى بالذكرى الخامسة عشرة لاندلاع الثورة الجزائرية .

المغرب : يعقد هذا الشهر مؤتمرا للملوك والرؤساء العرب فى مدينة الرباط لوضع خطة العمل العربى فى المرحلة القادمة من النزاع العربى الاسرائيلى بعد فشل كل الوسائل السلمية .

ليبيا : الغت ليبيا العقود الاقتصادية التى أبرمها العهد السابق مع أمريكا ردا على موقفها المعادى من العرب وقد أبلغ وزير الخارجية الليبى السفير الامريكى أنه لا يمكن اعتبار علاقة ودية مع أمريكا طالما ظلت تؤيد اسرائيل .

السودان : قام رئيس مجلس الثورة السودانى بزيارة الى المتحدة وليبيا وأجرى مباحثات مع البلدين لحشد الطاقات للمعركة مع العدو الاسرائيلى .

جمهورية اليمن : قام وزير التربية اليمنى بزيارة الكويت والعراق واجرى مباحثات مع المسئولين لتدعيم التعاون الثقافى والتربوى بين اليمن والكويت والعراق .

الخليج العربى : قرر حكام امارات الخليج العربى فى مؤتمرهم الذى انعقد فى الشهر الماضى اختيار الشيخ زايد بن سلطان أول رئيس للاتحاد واختيار « أبو ظبى » عاصمة مؤقتة واختيار ولى عهد قطر رئيسا لوزارة الاتحاد المؤلفة من كل الامارات .

باكستان : صرح الرئيس يحيى خان بأن استمرار الاحتلال الاسرائيلى للارض العربية ومحاولة اسرائيل ضم القدس يسببان قلقا خاصا لدى شعوب العالم .

رفعت باكستان عدد حجاجها هذا العام الى ١٧٥٠٠ حاج بدلا من ١٥٥٠٠ فى الاعوام السابقة .

اندونيسيا : دعا المسلمون فى امبون ــ احدى الجزر الاندونيسية ــ حكومة اندونيسيا الى اتخاذ اجراءات حازمة خارج الأمم المتحدة لمساعدة الدول العربية فى صراعها مع الصهيونية .

الهند : قررت منظمة الشباب الاسلامى عقد حلقات أسبوعية لتحفيظ القرآن الكريم فى مدينة مراد أباد بولاية باترا براديش وطلبت المنظمة مساعدة الهيئات الاسلامية لانجاح هذا المشروع .

أفغانستان : قدم سفير أفغانستان فى القاهرة تقريرا الى الجامعة العربية عن الضغوط الصهيونية على حكومة بلاده التى تمنع من الدخول اليها كل من زار اسرائيل فضلا عن عدم الاعتراف بها .

أخبـــار متفرقة

لندن : شكل فى لندن مجلس حملة التضامن الفلسطينى وقد سارت مظاهرة كبرى لأول مرة منذ سنة ١٩٦٧ من ٣ آلاف متظاهر ساروا فى شوارع لندن حتى السفارة الاسرائيلية يحملون اعلام فلسطين .

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

القاهرة : شركة توزيع الاخبار ــ ٧ شارع الصحافة .

مكة المكرمة : مكتبة مكة المكرمة ص.ب (٤٦)

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ــ السيد محمد زين العابدين ضياء .

الرياض : مكتبة مكة ــ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة مكة ص.ب (٤٦)

جدة : الدار السعودية للنشر ــ ص.ب (٢٠٤٣)

بغداد : مكتبة المثنى ــ السيد قاسم محمد الرجب .

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ السيد محمد سعيد بابيضان .

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ــ المنامة ــ السيد فاروق ابراهيم عبيد

قطر : السيد عبد الله حسين نعمة

عدن : وكالة الاهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد .

المكلا : مكتبة الشعب ــ ص.ب (٢٨) حضرموت .

دبى : ساحل عمان ص. ب (٢٦١) ــ السيد عبد الله حسن الرستمانى

مسقط : المكتبة الاهلية ــ السيد حسين قمر .

تعـــز : مكتبة المنار الاسلامية ــ السيد عاصم ثابت .

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنية ــ السيد رجا العيسى .

دمشق : الشركة العامة للمطبوعات ص.ب ٢٣٦٦

تونس : الشركة العربية للتوزيع ــ بيروت .

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ــ بيروت ــ ص.ب (٤٢٢٨) .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ص.ب (٢٤٧٣) .

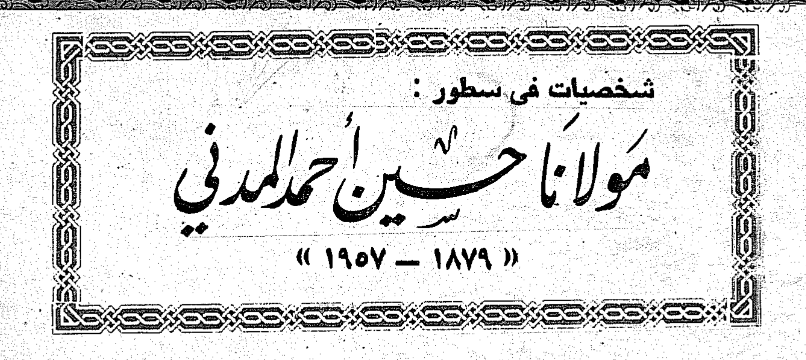
مراكش : الدار البيضاء ــ مكتبة الوحدة الوطنية ــ السيد أحمد عيسى .

ليبيا : طرابلس الغرب ــ ص.ب (١٣٢) ــ السيد محمد بشير الفرجانى

بنغازى : مكتبة الوحدة الوطنية ــ صب (٢٨٠) ــ السيد الشعالى الخراز

الكويت : مكتبة منار للتوزيع (٢١) شارع فهد السالم ص.ب (١٥٧١)

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة



* مولانا حسين أحمد المدنى ، أحد زعماء الهند البارزين فى السياسة والدين معا وكان صاحب صوت مسموع وكلمة مطاعة فى الشئون السياسية والدينية على السواء فى شبه القارة الهندية ..
* كان شيخا للحديث فى مدرسة دار العلوم بديوبند ، وهى مدرسة أنشأها جلة من علماء الهند المسلمين أمثال الشيخ محمد قاسم النانتوى والشيخ رشيد أحمد الكنوكوهى والشيخ أمداد الله ، وهؤلاء وأمثالهم هم الأساتذة الذين تخرج على أيديهم مولانا حسين المدنى وغيره من عظماء العلماء الهنود أمثال الشيخ محمود الحسن والشيخ محمد أشرف .
* كان يرى أن الدين واستقلال الوطن وعزته — فى نظر الاسلام — مرتبط بعضه ببعض ولا يجوز لمسلم أن يسكت على الاحتلال الأجنبى لبلاده ، وينعزل عن الحركة الوطنية .
* كانت آراؤه الثورية التحررية ، سببا فى اضطهاده ، ثم فى سجنه ونفيه ، وقد اعتقل منفيا فى مالطة ثلاث سنوات ..
* رأس جمعية علماء الهند ، الى جانب منصب شيخ الحديث فى دار العلوم .
* ولمولانا حسين المدنى ولد اسمه مولانا اسعد المدنى يتولى الآن الأمانة العامة لجمعية علماء الهند الى جانب عضويته للبرلمان المركزى الهندى .
* يقول عنه بعض مؤرخيه :

« تعتبر حياة العالم الوطنى الفذ الشيخ حسين المدنى نموذجا حيا للعالم الفاهم الذى يعرف مكانته ورسالته ، ويدرك حق ربه وحق وطنه وأمته من كافة النواحى الروحية والتعليمية والسياسية والوطنية .

لقد كانت حياته جهادا موصولا وكفاحا دائما واسوة حسنة لمن يريد أن يعرف الطريق الى خدمة الدين والوطن والناس ..

* كان ميلاده فى السادس من أكتوبر سنة ١٨٧٩ وكانت وفاته فى الخامس من ديسمبر سنة ١٩٥٧ فى منزله بجوار مدرسة دار العلوم بديوبند حيث دفن قريبا من المعهد الذى شع منه نوره على المسلمين فى الهند .

رحمه الله ورضى عنه ..

العوضى الوكيل